دكتور
فتحي عبد القادر فريد
أستاذ البلاغة المساعد
بكلية اللغة العربية - القاهرة

لمحات بلاغية
في
معاني القرآن
للأخفش الأوسط

المتوفى سنة ٢١٥ هـ

الطبعة الأولى
١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

توزيع
مكتبة النهضة المصرية
٩ ش عدلي بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبي الهدى والمبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه .

وبعد

فتبرز صفحات هذا البحث ما في كتاب « معاني القرآن » للأخفش الأوسط المتوفى سنة ٢١٥ هـ من إشارات بلاغية موجزة في لفظها واضحة في مدلولها ممثلة لنشأة الفكر البلاغية وما حدث لتلك الإشارات الموجزة والبذور الأولى من تطور مع الزمن وعلى امتداد مراحل التأليف في البلاغة — وإذا كان لهذه الصفحات من قيمة تذكر فإن أوضح قيمة لها في أنها تلفت الأنظار إلى مكانة اللبنات الأولى من بلاغتنا العربية وما ينبغي أن تحظى به من إقبال واهتمام بغية التعمق في فهم النصوص والنفاذ إلى إدراك أسرارها وليس وفاء للذكرى والتاريخ - والله أدعو أن ينفع بها وأن يجعلها خالصة لوجهه .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت إليه أنيب .

تمهيد

المرحلة الأولى للتأليف البلاغي

درج المؤرخون لبلاغتنا العربية على أن يقسموها إلى مراحل تتمثل في : مرحلة النشء والتكوين ، مرحلة التطور والانطلاق ، ومرحلة النضج والازدهار ، ومرحلة الجمود والجفاف ، ثم مرحلة البعث والتجديد .

ويتفق جمهورهم على أن مرحلة النضج والازدهار هي التي تناول البلاغة فيها أدباء ونقاد أصحاب ملكات أدبية ونقدية وحقق فيها الدرس البلاغي أهدافه المنشودة لامتزاجه بالأدب والنقد .

أما المرحلة الأولى : مرحلة النشء والتكوين فلم يعرض لها الباحثون إلا من حيث إنها تمثل إحدى مراحل البلاغة ، لكنهم لا يقفون طويلا عندها ، ولا يعدونها ذات أهمية واضحة في استمداد الدرس البلاغي منها اعتماداً على أن ما ورد فيها عن البلاغة لا يعدو أن يكون إلا إشارات محدودة ولفتات معدودة لم تأخذ الطابع العلمي الذي عرف بعد ، ويصور ذلك الأستاذ « أحمد مصطفى المراغي » في قوله عن الطور الأول في البلاغة من عصر سيبويه إلى عصر عبد القاهر .

« وقصارى القول : أن المؤلفات في هذا الطور ساذجة ليس فيها شيء من التدقيق في التعريفات والضوابط ، ولم يزنها مؤلفوها بمعيار المنطق ، ولم يصبغوها بتلك الصبغة التي ظهرت بعض الظهور في الطور الثاني ،

«بوضوح فى الطورين: الثالث والرابع ، حاشا كتابى : نقد النثر(١) ،ونقد الشعر لقدامه المتوفى ٣٣٧ هـ ففيهما شىء من ملح المنطق يظهر خفيفا فى تعريفاتهما .(٢) »

وإذا كان كثير من الباحثين لايقفون عند هذا الطور من تاريخ بلاغتنا إلا بالقدر الذى يظهر كونه حلقه فى سلسلة تراث البلاغةفإنى أرى أن هذا الطور الأول جدير بالعناية ومؤلفاته تشتمل على كثير من الإفادة لدارسى البلاغة ، وذلك لعاملين :

أولهما : لما تتسم به مؤلفات تلك المرحلة من عدم التقيد بفن واحد من فنون اللغة أو فرع معين من أفرعها بل تتناول اللغة بكل فروعها : أدبها وبلاغتها ونحوها وصرفها وعروضها ولهجاتها حيث لم يكن ظهر تقسيم أو تخصص كما هو حادث الآن .

ومن غير شك تعطى مراجعة هذه الكتب لأصحابها دراية بعلوم كثيرة بدلا من الوقوف على علم واحد .

ويصور ذلك الدكتور / «مازن المبارك» فى كتابه «الموجز فى تاريخ البلاغة» بقوله : «فى العصور الأولى قل أن يخلو كتاب من كتب اللغة

---

(١) أثبت التحقيق أن نقد النثر ليس لقدامة وأنه لإسحق بن إبراهيم ابن سليمان بن وهب ، وأن اسمه ليس «نقد النثر» بل : البرهان فى وجوه البيان» .

د / شوقى ضيف — البلاغة تطور وتاريخ ص ٩٣ ومابعدها — دار المعارف ط رابعة .

(٢) أحمد مصطفى المراغى - تاريخ علوم البلاغة ط أولى ١٣٦٢ هـ - ١٩٥٠ م ص : ١٣

أو الأدب أو النقد من الإشارة إلى موضوعات فى البلاغة .

ففى كتاب سيبويه (١٨٠ هـ) إشارات كثيرة مما دخل فيما بعد تحت اسم البلاغة ، وإن كانت شهرة سيبويه فى النحو قد صرفت الناس عن البحث عن الجوانب الأخرى من (الكتاب) . على أن النحو الذى نعرفه اليوم لم يكن فى عصر سيبويه مستقلا عن سائر علوم العربية ، وإنما كان جزءا منها ، والكتاب ليس كتاب نحو فقط ، وإنما هو كتاب فى علوم العربية ، ففيه اللغة والنصوص ، وفيه النحو والصرف ، وفيه البلاغة والعروض ، وفيه القراءات والتجويد ، كما أن النحو نفسه لم يكن عند سيبويه وأمثاله مقصورا على الإعراب والبناء ، وإنما كان علما يؤدى إلى فهم كلام العرب وعدم اللحن فيه والتأليف على سمته . . . ونحن لو استعرضنا بعض أبواب الكتاب لوقفنا على كلام فى البلاغة ولكنه يختلف عن كلام البلاغيين الذين عرفوا المصطلحات والتقسيمات . . ثم ظهرت كتب الجاحظ (٢٥٥ هـ) فكانت ممتلئة بأحاديثه المسهبة عن البلاغة ، كما كانت ممتلئة بالنماذج الأدبية والأقوال البليغة . . . تناول الجاحظ موضوعات البيان والفصاحة والبلاغة ، ولم يكن لكل من هذه الألفاظ مدلول خاص متميز ، وظهر بعد ذلك كتاب (الكامل) فى اللغة والأدب لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد (٢١٠ - ٢٨٥ هـ) وهو على الرغم مما يدل عليه اسمه غير مقصور على اللغة والأدب ، وإنما تناول كثيرا من المسائل البلاغية)[1] .

وثانيا : لما تتسم به تلك المؤلفات من وضوح فى عباراتها وإيجاز فى تعليقاتها . وخلوها من الغموض والإلغاز[2] الذى أحدثته

---

(١) د / مازن المبارك — الموجز فى تاريخ البلاغة ص ٤٠٥ - ٦٥٠ ط ثانية — دار الفكر — دمشق ١٤٠٠ هـ — ١٩٧٩

(٢) لمشافهة أصحابها للعرب الأول كما يتضح ذلك بعد ، وقد كانت =

المصطلحات بعد ذلك ، مما يجعلنى أقرر أن ماورد فى هذه المؤلفات يمكن الاستعانة به على تفسير وتوضيح ماجاء مبهما بعد ذلك من مسائل البلاغة وتفسيرات البلاغيين التى تحتاج لتوضيح فى أحيان كثيرة .

وذلك يعنى أن الاعتماد على مؤلفات تلك المرحلة شىء هام وضرورى فى دراسة البلاغة ، حيث نقف على النكات البلاغية واضحة جلية وموجزة محددة ،(١) ، ونستعين بها على تفسير ماجاء غامضا أوخفياً فى آثارالبلاغيين من بعد .

لذلك يجىء اهتمامى بحصر الإشارات البلاغية الواردة فى كتاب من كتب تلك المرحلة المتقدمة التى تفسر القرآن تفسيراً لغوياً يقوم على الاستشهاد بكلام العرب الذى وقف مؤلفه على لهجاتهم المتعـددة بمشافهته للعرب واستماعه لكلامهم وهو كتاب : « معانى القرآن للأخفش الأوسط وإبرازها لتوضح لنا بجلاء صدق ماسبق على ضوء تحديدات وتفسيرات البلاغيين من بعد .

وقبل أن نعرض لتلك الإشارات البلاغية التى وردت فى « معانى القرآن » للأخفش الأوسط وتفسيرات البلاغيين لها من بعد يجمل بنا أن نتعرف على الكتاب وصاحبه .

فمن هو الأخفش الأوسط ؟

ـــ اللغة لهم سليقة وفطرة ، ولم يلجأ إلى التدوين والتاليف إلا بعد أن تسرب اللحن إلى الألسنة وضعفت السلائق .

(١) ومؤيده بالمألوف والمعروف من أساليب العرب التى لم يكن اللحن عرفها ، ولم تكن عرفت المصطلحات بعد سبيلا إليها .

الفصل الأول

الأخفش الأوسط

ترجم له القاضى أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخى المعرى المتوفى عام ٤٤٢ هـ فى كتابه : « تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم »(١) فقال عنه : مولى بنى مجاشع بن دارم ، وإليهم ينسب فيقال : المجاشعى ، ويلقب أيضاً بالراوية .

وهو أحذق أصحاب سيبويه ، وقد لقى من لقيه ، وليس لكتابه طريق إلا من جهته ، وذلك أن « كتاب سيبويه » لا يعلم أن احداً قرأه على سيبويه ، ولا قرأه عليه سيبويه ، ولكنه لما مات « سيبويه قرئ » الكتاب « على أبى الحسن الأخفش وكان ممن قرأه عليه أبو عمر الجرمى . وأبو عثمان المازنى وغيرهما ، وكان أسن من سيبويه ، وصحب الخليل أولا وكانا جميعاً يطلبان ، فجاء الأخفش بعد أن برع إلى سيبويه يناظره ، فقال له الأخفش : إنما ناظرتك لأستفيد لا لغيره .

فقال : ترانى أشك فى هذا !! ، وكان ثعلب يفضله ويقول : هو أوسع الناس رواية ، وأول من أملى غريب كل بيت تحته ، وكان قبله تفسر القصيدة بعد فراغها ، وروى ثعلب أيضا ، رواه ابن مجاهد عنه عن مسلمة قال : حدثنى الأخفش قال: جاءنا الكسائى إلى البصرة فسألنى أن أقرأ عليه « كتاب سيبويه » أو أقرئه ففعلت ، فوجه إلى خمسين ديناراً ، ويقال : إنه

---

(١) تحقيق د/ عبد الفتاح الحلو نشر جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠١ هـ — ١٩٧١م .

كان معلما لولد الكسائي(١)

وهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري ، وعرف بالأخفش الصغير بعد الأخفش الأكبر أبي الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد أحد شيوخ سيبويه(٢)، فلما ظهر الأخفش الثالث أبو الحسن علي بن سليمان(٣) من تلامذه المبرد وثعلب وعرف بالأخفش الأصغر غلب على سعيد لقب « الأخفش الأوسط » .

وقد عد « السيوطي » أحد عشر نحوياً من الأخافش(٤) ، أما لقب « الأخفش » عند إطلاقه فإنما يراد به أبو الحسن سعيد بن مسعدة ، وقد تكتفي بعض المؤلفات بذكر كنيته « أبي الحسن » فقط .

شيوخ الأخفش الأوسط وتلاميذه .

عاش الأخفش في البصرة حقبة تزخر بالعلماء الأعلام الذين أفنوا أعمارهم في الدرس اللغوي ، والمؤرخون يسلكون أبا الحسن في الطبقة السادسة من النحويين البصريين مع النضر بن شميل وأبي محمد اليزيدي وسيبويه والجرمي وعلي بن نصر الجهضمي ومؤرج السدوسي ومحمد بن أبي محمد اليزيدي وأبي جعفر اليزيدي وأبي العباس اليزيدي(٥) .

(١) المرجع السابق ص : ٨٥ ، ٨٦

(٢) الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ٧٢ ٧٣ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم — دار المعارف بمصر ١٩٧٣ م .

(٣) القفطي : إنباه الرواة على أنباه النحاة ٢ : ١٥٧ — ١٥٨ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار الكتب المصرية ١٩٥٠ — ١٩٧٣

(٤) السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ٢ : ٤٥٣، ٤٥٤ تحقيق : محمد أحمد المولى ورفيقاه — دار إحياء الكتب العربية — القاهرة .

(٥) الزبيدي ص ٨٥ — ٨٦

وقد تقدمهم فى الطبقة الخامسة من النحويين البصريين : الخليل بن أحمد الفراهيدى وحمـــاد بن سلمة ويونس بن حبيب ويعقوب الحضرمى وأبو عاصم النبيل(١)

ومن شيوخه : سيبويه (ت ١٨٠ هـ) وعيسى بن عمر الثقفى» (ت ١٤٩ هـ)» و « يونس بن حبيب » (ت ١٨٣ هـ) .

و « أبو زيد الأنصارى » (ت ٢١٤ هـ) ، و « أبو مالك الأعرابى » ، وأبو شمر المعتزلى(٢) .

وقد أخذ عنه عدد كبير من الرجال الذين تمتعوا بشهرة وأسمه فى ميادين اللغة ومنهم : المازنى (ت ٢٣٠ هـ) ، وأبو عمر الجرمى (ت ٢٢٥) ، وأبو حاتم السجستانى (ت ٢٥٥ هـ) ، وأبو الفضل الرياشى(ت ٢٥٧ هـ)وأبو جعفر اليزيدى والنيسابورى (ت ٢٣٦ هـ)، والتوزى (ت ٢٣٠ هـ) ، وأبو عثمان الأشناندانى (ت ٢٨٨ هـ) وغيرهم(٣) .

مصنفات الأخفش الأوسط .

ذكرت كتب التراجم للأخفش الأوسط مؤلفات متعددة فى النحو والعروض والقوافى له فى كل منها مذاهب مشهورة ومن هذه المصنفات :

— الأوسط فى النحو .

— المقاييس فى النحو .

— الاشتقاق .

— الأربعة .

— العروض .

(١) الزبيدى : ٤٨ — ٥٤

(٢) د / فائز فارس : معانى القرآن للأخفش الأوسط ١/١٧ ومابعدها.

(٣) المرجع السابق ١/٢٥ وما بعدها .

المسائل الكبير .

— المسائل الصغيره .

— الملوك .

— معاني الشعر .

— وقف التمام .

الأصوات .

— صفات الغنم وألوانها وعلاجها وأسنانها .

— التصريف .

— الواحد والجمع في القرآن .

— غريب الحديث .

— شرح أبيات المعاياة .

— القوافي(١) .

معاني القرآن .

وفاته :

رجح محقق كتاب « معاني القرآن » للأخفش الأوسط أن تكون وفاته سنة ٢١٥ هـ ، بعد أن أورد تواريخ مختلفة ومتعددة لوفاته عند كثير من من أصحاب(٢) التراجم ، وكذلك اعتمد هذا التاريخ لوفاته القاضي أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري المتوفى عام ٤٤٢ هـ في ترجمته له ضمن كتابة : « تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم(٣) .

---

(١) د/ فائز فارس — معاني القرآن ١ / ٤١

(٢) المرجع السابق .

(٣) تحقيق د/ عبد الفتاح محمد الحلو ـ نشر جامعة الإمام محمد بن سعود

. . . .

ـ الرياض ١٤٠١ هـ / ١٩٧١ ، وذكر المحقق تعليقا على تحديد المؤلف لوفاة الأخفش في سنة ٢٢١هـ بأن ذلك تقييد الزبيدي، وابن الأنباري، وياقوت، وابن خلكان ، والرافعي ، وابن العماد، والخوانساري، وقال ياقوت ، وابن خلكان والخوانساري : وقيل : سنة إحدى وعشرين، وقال السيرافي: مات بعد الفراء ، ومات الفراء سنة سبع ومائتين . وقال السيوطي وطاش كبرى زادة : توفي سنة عشر ، وقيل : سنة خمس عشرة ، وقيل : سنة إحدى وعشرين . وذكره أبو الفدا في وفيات سنة إحدى عشرة ، وقال ابن النديم: توفي سنة إحدى وعشرين ومائتين ، ويقال : سنة خمس عشرة ،ونقل عنه القفطي .

وذكر الدكتور/عبد الفتاح الحلو محقق كتاب : تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم عدة مصادر تحدثت عن الأخفش الأوسط ، عدا الكتاب السابق وهي : المعارف لابن قتيبة : ٥٤٥ ، ٥٤٦ مراتب النحويين : ١١١ ، ١١٢ - أخبار النحويين البصريين : ٥٠ ، ٥١ طبقات النحويين واللغويين : ٧٣ ، ٧٤ — الفهرست : ٧٧ ، ٧٨ — نزهة الألبا : ١٢٣ — ١٣٥ — معجم الأدباء : ٢٢٤/١١ - ٢٣٠ - إنباه الرواة ٣٦/٢ - ٤٣ وفيات الأعيان : ٣٨٠/٢ - ٣٨١ - المختصر لأبي الفدا : ٢٩/٢ مرآة الجنان ٦١/٢ — البداية والنهاية ٢٩٣/١٠ بغية الوعاة ٥٩٠/١ ، ٥٩١ — المزهر ٤٠٥/٢ ، ٤١٩ ، ٤٣٦ ، ٤٤٤ ، ٤٦٣ — مفتاح السعادة ١٥٨/١ — ١٦٠ — كشف الظنون ٢٠١/١ ، ١٢٠٩/٢ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ ، ١٤٣٨ ، ١٤٥١ ، ١٤٦٣ ، ١٦٧٠ ، ١٧٢٩ ، ١٧٣٠ ، ١٧٩٢ ، — شذرات الذهب ٣٦/٢ — إيضاح المكنون ٢٦٥/٢ ، ٧١٤

كتب معانى القرآن

كتاب « معانى القرآن » للأخفش الأوسط

تذكر كتب التراجم العنوان السابق « معانى القرآن » ضمن مؤلفات كل من : الأخفش الأوسط ، والفراء ، والكسائى ، وقطرب ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، فأى من المؤلفين السابقين أسبق تأليفاً لمعانيه ، وما سمات مؤلفه التى يتسم بها ؟

ويفهم مما ذكره « الأخفش » فى لقائه بالكسائى بعد المسألة الزنبورية أن كتابه « معانى القرآن » ألف أولا ، وجاء بعـــده « معانى القرآن » للكسائى ثم « معانى القرآن » للفراء ، فيقول الأخفش : لما جرى بين سيبويه والكسائى ما جرى بحضرة البرامكة رحل سيبويه عن بغداد يريد الأهواز (١) ، فلما وصل إلى ظاهر البصرة وجه إلى فجئته فعرفنى خبره مع البغداديين ، وما جرى من التعصب عليه ، وودعنى ومضى إلى الأهواز ، فأصلحت حالى ، وجلست فى سمارية (٢) ، فصرت إلى بغداد ، ثم إنى وافيت مسجد الكسائى فصليت خلفه صلاة الفجر ، فلما فرغ وانتقل من محرابه قعد بين يديه الفراء والأحمر وهشام وبن سعدان الضرير ، فسلمت عليه وعليهم ، ثم ألقيت مائة مسألة عليه ، فلم يصب فى مسألة واحدة ، فهم أصحابه بالوثوب بى ، فقال : بالله أنت الأخفش أبو الحسن سعيد ؟ : فقلت نعم ، فقام إلى ، فعانقنى ، وقال لى : أولادى أولى بك ، أحب أن يتأدبوا بأديك ، وتكون غير مفارق لى ، فأجبته إلى ذلك ، فلما اتصلت الأيام سألنى أن

---

(١) سبع كور بين البصرة وفارس .
(٢) فى اللسان : السميرية : ضرب من السفن .

أؤلف كتابا فى القرآن ، فعملت كتابى ، وجعلته إماماً ، وعمل هو بعد ذلك كتابه فى القرآن ، وعمل أيضاً عليه الفراء كتاباً فى معانى القرآن (١) .

ويحدد محقق « معانى القرآن » للأخفش الوقت الذى ألف فيه الكتاب بأنه فى أواخر القرن الثانى الهجرى بين سنة وفاة سيبويه (١٨٠ هـ) وسنة وفاة الكسائى (١٨٩ هـ أو ١٩٣ هـ) (٢) .

ويقرر محقق « معانى القرآن » للأخفش أن كتاب أبى عبيدة « مجاز القرآن » يعد أسبق هذه الكتب تأليفاً ، وأن كتاب « قطرب » لم يرد له ذكر ضمن فهارس المخطوطات والمطبوعات ، ولم يذكر شيئاً عن كتاب الكسائى (٣) .

كما قرر الدكتور « بدوى طبانه » أن كتاب أبى عبيدة « مجاز القرآن » يعد أول مؤلف فى البلاغة العربية (٤) غير أن « ابن النديم » فى الفهرست يذكر أن كتاب « أبى عبيدة » سبقته كتب لعدد من اللغويين كيونس بن حبيب والأخفش الأوسط والرؤاسى والكسائى(٥) .

---

(١) تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين ص : ٨٦ ، ٨٧ ويضيف الزبيدى : وبناه على كتابى : الأخفش والكسائى فى المعانى ، معانى القرآن للأخفش ١/٣٧

(٢) د / فائز فارس ـ معانى القرآن ١/٥٦

(٣) المرجع السابق ١ / ٥٥

(٤) د / بدوى طبانة ـ البيان العربى ص : ٢٥ ط رابعة ـ مكتبه الانجلو المصرية

(٥) ابن النديم : ٥١ ـ د / مازن المبارك ـ الموجز فى تاريخ البلاغة ص : ٣٩

وقد يسأل فيقال : إذا كان الكلام عن كتب « معانى القرآن » فلماذا تطرق الحديث إلى أبي عبيدة معمر بن المثنى ، الذى يعرف كتابه بمجاز القرآن ؟

ويجاب على ذلك بأن « ابن النديم » قد ذكر لأبي عبيدة عدة كتب تتصل بالقرآن « مجاز القرآن » و « غريب القرآن » و « معانى القرآن » ثم « إعراب القرآن » .

وقد تساءل محقق « مجاز القرآن » لأبى عبيدة ألأبى عبيده كتب بهذه الأسماء ؟ أو هى أسماء متعددة والمسمى واحد وهو « مجاز القرآن » ، وكان موفقاً فيما أجاب به من أنه ليس لأبى عبيدة من كتب تتصل بالقرآن إلا « مجاز القرآن » أما الأسماء السابقة فإنها أخذت من الموضوعات التى تناولها « المجاز » فهو يتكلم فى معانى القرآن ، ويفسر غريبه ، وفى أثناء هذا يعرض لإعرابه ، ويشرح أوجه تعبيره ، وذلك ما عبر عنه « أبو عبيدة » بمجاز القرآن ، فكل سمى الكتاب بحسب أوضح الجوانب التى تولى الكتاب تناولها ولفتت نظره أكثر من غيرها ، والتمس لابن النديم عذرا بأنه قد يكون لم ير الكتاب ، وإنما سمع هذه الأسماء من أشخاص متعددين فذكر لأبى عبيدة فى موضوع القرآن هذه الكتب المختلفة الأسماء (١) .

ولما كان الموجود بين أيدينا الآن من كتب معانى القرآن ثلاثة كتب هى على الترتيب : معانى القرآن للأخفش الأوسط، ومعانى القرآن للفراء ومجاز القرآن لأبى عبيدة فإننا نشير بإيجاز إلى ما يتسم به كل منها ، مع إدراكنا لمدى ما بينها من تشابه وتقارب حيث ألفت فى فترة واحدة

---

(١) د / محمد فؤاد سزكين ـ مجاز القرآن لأبى عبيده ط ثانية ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م ـ مكتبة الخانجى ـ دار الفكر .

تمثل الفترة الأولى للتأليف في اللغة والقرآن التي تميزت بإدراك العرب الخلص ومشافهة اللغة منهم ، ولذلك يتمثل وجه الشبه بينها في أنها تعد تفسيراً لغوياً لألفاظ القرآن وأساليبه بالمعهود من لغة العرب شعراً ونثراً

ومع هذا التشابه الذي يؤلف بينهما يبقى لكل منها طابع يتسم به ، وطريقة تحدد اتجاهه .

أولا . معانى القرآن للأخفش الأوسط

ذكرنا أنه تفسير لغوى لكلام الله ، نلتقى فيه بآراء وكلام فى النحو والصرف والقراءات واللهجات ،

أما البلاغة وأسرار التعبير فإنا نراها تمثل نزراً يسيراً(١) على الرغم من أهميتها وقيمتها المتمثلة فى وضوحها ووجازتها والاستشهاد عليها بكلام العرب ،

وقد اعتمد الأخفش فى كتابه على عدة مصادر هى :

١ — القرآن الكريم حيث فسر كثيراً من الآيات بآيات أخرى

٢ — القراءات التى اهتم بها وعرض لها أحيانا من غير تحليل ، وأحيانا بالتحليل والتعليل المؤكد بالأدلة الصرفية والنحوية ، وقد حاول أن يربط بين بعض القراءات والمعنى ، وفسر اختلاف بعض القراءات باختلاف لغات العرب

---

(١) ولذلك لم يرد ذكر لهذا الكتاب ولا لصاحبه ضمن كتب التراث البلاغى المتقدم .

٣ — الشواهد الشعرية : التى استعان الأخفش بها كثيراً على تأييد آرائه ، ولم تكن هذه الشواهد الشعرية إلا ماسمع من العرب أوروى عنهم

٤ — أقوال العرب التى اهتم بها وجعل منها مادة يقيس عليها ويفسر بها مايخفى معناه من أساليب القرآن(١) .

٥ — آراء العلماء:وقد أتاحت له إقامته بالبصرة لقاء الوسطاء اللغويين الوافدين إليها .

وتعد الإشارات البلاغية التى وردت فى الكتاب محدودة بالنسبة لمسائل النحو والصرف والقراءات وغيرها ولذلك لم نجد أحداً من المؤرخين للبلاغة والباحثين فيها يشير إلى هذا الكتاب ضمن التراث البلاغى .

---

(١) وقد عاش حياته فى زمن تصح فيه الرواية والنقل عن الأعراب ، وقد رحل أقرانه إلى البادية يأخذون عن أهلها مادتهم اللغوية، وقد عرف (بالأخفش الراوية) ١/١١٠

وفى كتابه « معانى القرآن » تتردد عبارات كثيرة تثبت أنه شافه الأعراب ونقل عنهم ١/١١٠

(٢) د/فائز فارس ـ معانى القرآن ٢: ٧٠ — ١٠٣

مجاز القرآن لأبي عبيدة(١)

وقد ذكرنا أنه يتفق مع الكتب السابقة في كونه يعد تفسيراً لغوياً للقرآن الكريم ، غير أن منهجه يختلف عن منهج «معاني القرآن» للأخفش الأوسط ، حيث يبدو الاهتمام في «مجاز القرآن» واضحاً بتفسير معاني المفردات القرآنية وتوضيح مدلولات بعض التراكيب بالاستشهاد عليها بأقوال العرب الشعرية والنثرية، وحيث تقل العناية بمسائل النحو والصرف والقراءات تبدو العناية بتوضيح مدلولات التراكيب مما جعل البلاغيين يبدون اهتمامهم بالكتاب ويجعلونه أول مؤلف تعرفه البلاغة لوضوح العناية بمدلولات المفردات والتراكيب فيه وتسميته «بمجاز القرآن» وإن كان المجاز لا يراد به المجاز الاصطلاحي المعروف كما يتضح ذلك من قصة تأليف للكتاب .

فيذكر «أبو عبيدة» أن الفضل بن الربيع وزير الرشيد أنفذ إليه مالا جزيلا ، واستقدمه إلى بغداد سنة ١٨٨ هـ ، فلما قدم إلى بغداد استأذن في الدخول عليه فأذن له وأكرم وفادته وأدناه منه وتبسط معه في الحديث ، ثم سأله الإنشاد فأنشده فطرب وضحك ، ثم دخل عليه إبراهيم بن إسماعيل الكاتب ، فأجلسه إلى جانبه وقال له : أتعرف من هذا؟ قال : لا . قال : هذا أبو عبيدة علامة أهل البصرة أقدمناه لنستفيد من علمه ، فدعا للوزير

---

(١) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢٠٨ هـ ، وهو أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري العليم باللغة والأنساب والأخبار ، مولى بني تيم، تيم قريش لا تيم الرباب .

أحمد مصطفى المراغي - تاريخ علوم البلاغة ط أولى سنة ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م ص: ٦٣

وقرظه لفعله ، وقال : إنى كنت إليك مشتاقاً ، وقد سئلت عن مسألة ، أفتأذن لى أن أعرفك إياها ، فقلت : هات ، قال : قال الله عز وجل :

«طلعها كأنه رءوس الشياطين»(١) وإنما يقع الوعد والإيعاد بما عرف مثله ، وهذا لم يعرف ، فقلت : إنما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم ، أما سمعت قول امرىء القيس :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط ، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أو عدوا به ، فاستحسن الفضل ذلك ، واستحسنه السائل وعزمت من ذلك اليوم أن أضع كتاباً فى مثل هذا وأشباهه وما يحتاج إليه من علمه ، فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابى الذى سميته «المجاز فى القرآن»(٢) .

ومن التأمل فى قصة تأليف الكتاب ندرك للوهلة الأولى أنه تفسير لمفردات القرآن ومدلولات تراكيبه بالمعهود من كلام العرب ويبدو ذلك واضحاً فى قوله : «إنما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم ، أما سمعت قول امرىء القيس : وهم لم يروا الغول قط ... الخ فذكر «أبو عبيدة» نظير ذلك من كلام العرب ، معقباً عليه بالتفسير والتحليل «وهم لم يروا الغول قط .. الخ . وجاء البلاغيون بعد ذلك فجعلوا ذلك من التشبيه الوهمى(٣) .

---

(١) سورة الصافات : ٦٥

(٢) أحمد مصطفى المراغى ص ٦٣-٦٥

(٣) ويلحقه علماء البيان بالتشبيه العقلى ، ويريدون به : ماليس مدركاً بشىء من الحواس الخمس الظاهرة ، مع أنه لو أدرك لم يدرك إلا بها ، وأن عدم إدراكه بها راجع إلى عدم وجوده وبهذا يمتاز عن العقلى الخالص .

د. أحمد موسى - البلاغة التطبيقية ط أولى ١٩٦٣م مطبعة المعرفة .

كما ندرك أيضاً من الموقف السابق الذى كان سبباً فى تأليف (أبى عبيدة) لكتابه وما جاء فى الكتاب أن كلمة (مجاز) التى جعلها عنوانا لكتابه لم يقصد بها المعنى الاصطلاحى للمجاز فى استعمال اللفظ لغير معناه الحقيقى لعلاقة مع قرينة مانعة(١) ، بل قصد بها المعنى اللغوى وهو الممر والطريق أى ماورد من كلام العرب على هذا الطريق ، أوورد ذلك فى القرآن على طريق العرب فى كلامهم ويزيد محقق الكتاب ذلك توضيحاً بقوله . (ومهما كان الأمر فإن (أبا عبيدة) يستعمل فى تفسيره الآيات هذه الكلمات (مجازه كذا) و (تفسيره كذا) و (معناه كذا) و (غريبه) و (تقديره) و (تأويله) على أن معانيها واحدة أو تكاد ، ومعنى هذا أن كلمة (المجاز) عنده عبارة عن الطرق التى يسلكها القرآن فى تعبيراته ، وهذا المعنى أعم بطبيعة الحال من المعنى الذى حدده علماء البلاغة لكلمة (المجاز) فيما بعد(٢) .

كما ذكر الدكتور (شوقى ضيف) أن القدامى قد تنبهوا لهذا المقصود من (مجاز القرآن) لأبى عبيدة كابن تيمية الذى يقول : (أول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز (أبو عبيدة معمر بن المثنى فى كتابه،ولكن لم يعن بالمجاز ماهو قسيم الحقيقة ، وإنما عنى بمجاز الآية مايعبر به عن الآية(٣) .

---

(١) وذلك هو المجاز اللغوى، وهناك مايعرف بالمجاز العقلى الذى يقع التجوز فيه على الإسناد : إسناد الفعل أوما فى معنى الفعل لغير ما هو له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقى .

(٢) ٢٨/١ د/محمد فؤاد سزكين مجاز القرآن لأبى عبيدة المتوفى سنة ٢١٠هـ ط ثانية - ١٣٩٠-١٩٧٠م مكتبة الخانجى .

(٣) البلاغة: تطور وتاريخ د/شوقى ضيف ص ٢٩

وتلك أمثلة من كتاب (أبى عبيدة) تعطى مزيداً من التوضيح للتفسير السابق للمجاز .

(.... ليلة الصيام) البقرة : ١٨٧ مجازها : ليل الصيام ، والعرب تضع الواحد فى موضع الجمع قال عامر الخصفى :

هم المولى وقد جنفوا علينا ... وإنا من لقائهم لزور(١)

فترى المجاز هنا يراد به الاستشهاد بكلام العرب على وضع المفرد موضع الجمع ويقول فى تفسير قوله تعالى : « هن لباس لكم ... البقرة ١٨٧ »يقال للمرأة الرجل : هى فراشه ، ولباسه ، وإزاره ، ومحل إزاره ، قال الجعدى :

تثنت عليه فكانت لباساً(٢)

وقد عرف ذلك بعد بالتشبيه البليغ .

وأحياناً كان يذكر بعض المصطلحات البلاغية عامة غير محددة .

كقوله : (نساؤكم حرث لكم ...) البقرة (٢٢٣) كناية وتشبيه(٣) .

وكقوله : . . . (العروة الوثقى) . . . البقرة (٢٥٦) شبه بالعرى التى يتمسك بها(٤) .

وكقوله (أوجاء أحد منكم من الغائط) النساء (٤٢) كناية عن حاجة ذى البطن ، والغائط : الفيح من الأرض المتصوب وهو أعظم من الوادى(٥) .

---

(١) ١/ ٦٧ مجاز القرآن
(٢) ٢/ ٩٧
(٣) ١/ ٧٣
(٤) ١/ ٧٩
(٥) ١/ ١٢٨

معاني القرآن للفراء

وكتاب (معاني القرآن للفراء) المتوفى سنه (٢٠٧ هـ) ، وهو يتفق مع السابقين في كونه تفسيرا لغويا اعتنى فيه الفراء بتفسير غريب القرآن وتوضيح معانيه ، والتخريج النحوي للآيات ، وشرح الألفاظ لغويا تؤيده شواهد الشعر وأوجه الاستعمال المعروفة ، والاهتمام بتوضيح أسرار بعض التراكيب بالتنظير عليها من كلام العرب ، وقد أشار علماء البلاغة لكتاب (معاني القرآن) ضمن كتب المرحلة الأولى المتقدمة في البلاغة وأغفلوا كما ذكرنا الإشارة إلى كتاب (الأخفش) ولعل سبب ذلك يتمثل في عدم ظهور الكتاب إلا منذ سنوات معدودة ، وندرة النسخ التي كانت توجد فيه مخطوطة(١) .

ومما ورد في (معاني القرآن) للفراء من توضيح لأسرار بعض التراكيب قوله في قول الله تعالى (فما ربحت تجارتهم)(٢) .

ربما قال القائل : كيف تربح التجارة وإنما يربح التاجر ؟

وذلك من كلام العرب ـ ربح بيعك ـ وخسر بيعك ، فحسن القول بذلك لأن الربح والخسران إنما يكونان في التجارة ، فعلم معناه ، ومثله من كلام العرب : هذا ليل نائم .

---

(١) وأيضا كما سبق لقلة وندرة الإشارات البلاغية التي وقف عندها والتفت إليها (أبو الحسن الأخفش) .

(٢) سورة البقرة : ١٦ .

ومثله من كتاب الله : (فإذا عزم الأمر . . .)(١) وإنما العزيمة للرجال(٢).

وفضلا على ما يفسره عبارات الفراء السابقة لسر البلاغة في التركيب السابق وسر مجيئه على هذه الهيئة . فإنه من ناحية ثانية يعد على درجة كبيرة من الأهمية : حيث يوقفنا على سر التركيب السابق في عبارات موجزة لم تزد عن كونها أمثلة للتعبير القرآني من كلام العرب مما يجعلنا لا نستغني عنها ولا عن منهج المتقدمين لوضوحه ووجازته واعتماده على كلام العرب المعتمد، ومن ناحية ثانية فإن كلام الفراء السابق يعد تفسيرا وإجمالا واضحا لما ذكره البلاغيون من بعد عن الآية وإنها من المجاز العقلي أو الحكمي ، وتأمل قوله : (لحسن الحقول بذلك . . . فعلم معناه) أليس ذلك أوضح تفسير للعلاقة بين الفاعل الحقيقي : التاجر ، والفاعل المجازي التجارة .

وهي السببية ،وأليس ذلك أوضح من قول البلاغيين من بعد إنها مضاهاة الفاعل المجازي للفاعل الحقيقي في تلبس الفعل بكل منهما لأنه سببه ؟ . . . ثم لم يكتف الفراء بذلك بل ذكر شاهداً آخر من كلام العرب (ليل نائم) وإن كانت علاقته الزمنية ، وشاهدا آخر من كلام الله لعلاقة السببية (فإذا عزم الأمر) زيادة في التوضيح .

لذلك رأيت كما ذكرت في مطلع الكلام أن عمل المؤلفين الأول في البلاغة واللغة ينبغي أن يحظى منا بكل عناية ورعاية وأن نعتمد عليه في فهمنا لبلاغة القرآن وبلاغة العرب كما نعتمد على آثار عبد القاهر ومن بعده

---

(١) سورة محمد : ٢١

(٢) معاني القرآن للفراء ١ : ١٤ تحقيق : أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار القاهرة ١٩٥٥

والسكاكي ومن تلاه وبذلك نجمع في دراستنا للبلاغة بين العلم والفن وبين النظرية والتطبيق ، وأن نقيم لإشارات المتقدمين وزنا لوضوحها ووجازتها ولا نمر عليها مر الكرام لمجرد أنها تمثل مرحلة تاريخية .

ومن ثم جاء اهتمامي بحصر الإشارات البلاغية المنثورة في كتاب (معاني القرآن) للاخفش الأوسط الذي لم يحظ من علماء البلاغة بإشارة من قبل ، والله أدعو أن يوفقني لإبراز هذه الإشارات ربما عرفت به لدى البلاغيين من بعد .

المنهج الذي مضيت عليه

وقد وقفت على إشارات الأخفش الأوسط البلاغية في كتابه : (معاني القرآن) الذي حققه الدكتور / فائز فارس للمرة الأولى(١) على نسخة وحيدة مخطوطة في المكتبة الرضوية في (مشهد) بإيران ، وعلى نسخة مصورة منها في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

والكتاب كما ذكرت تفسير يبدأ بالفاتحة ويختم بسورة الناس أمامنهجي في مناقشة هذه الإشارات فيتمثل في :

١ — محاولة تقيمها وتسجيلها من الجزأين اللذين خرج الكتاب فيهما.

٢ — إجراء موازنة سريعة بين هذه الإشارات عند الأخفش وبينها عند أبي عبيدة والفراء المعاصرين له في كتابيهما : (مجاز القرآن) . و « معاني القرآن .

---

(١) ١٤٠٠ هـ ط أولى — المطبعة العصرية — الكويت

٣ — تحديد المصطلح البلاغى الذى وضعه البلاغيون فيما بعد لتلك الإشارات .

٤ — مناقشة تلك الإشارات تحت العناوين الرئيسة وأبواب البلاغة التى عرفت أخيراً وبمضى الدرس البلاغى عليها حتى الآن وهى : المعانى والبيان والبديع .

وعلى الله قصد السبيل .

الفصل الثانى

من علم المعانى

١ — التقديم والتأخير :

سرد الأخفش عند حديثه عن أول الأعراف عدداً من الآيات التي اشتملت على تقديم وتأخير بدون أن يحدد أسباباً أو أسراراً لذلك التقديم، ومستشهداً على ذلك بكلام العرب وأشعارهم وقد لوحظ فى الأمثلة التى استشهد بها على التقديم أن ما فيها اعتراض ، وذلك بدون أن يستعمل لفظة « اعتراض » فيقول فى مطلع سورة الأعراف : « كتاب أنزل إليك لتنذر به فلا يكن فى صدرك حرج منه » هكذا تأويلها على التقديم والتأخير ونظمها فى القرآن: « أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به ...»[1] .

وفى كتاب الله مثل ذلك كثير ، قال :(اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون)[2] .

(ثم تول عنهم مؤخره ، لأن المعنى : فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم)[3] .

---

(١) الأعراف : ٢

(٢) النمل : ٢٨ وانظر معانى القرآن للأخفش ٢ / ٣٠١

(٣) المرجع السابق ٢ / ٤٤٠ ، وأوضح منه ما ذكره الفراء : يقول القائل : كيف أمره أن يتولى عنهم وقد قال: (فانظر ماذا يرجعون) ومعناها: التقديم ، ويقال : إنه أمر الهدهد أن يلقى الكتاب ثم يتوارى عنها =

وفي كتاب الله : (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون . بالبينات والزبر ...)(١) .

والمعنى : والله أعلم : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم بالبينات والزبر فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ، وفي حم المؤمن : (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ...)(٢) .

والمعنى : والله أعلم : فلما جاءتهم رسلهم بالبينات من العلم فرحوا بما عندهم ، وقال بعضهم : فرحوا بما هو عندهم من العلم ، أي كان عندهم العلم وهو جهل ، ومثل هذا في كلام العرب وفي الشعر كثير في التقديم والتأخير ، يكتب الرجل : أما بعد : حفظك الله وعافاك ، فإني كتبت إليك — فقوله : (فإني) محمول على :(أما بعد) إنما هو : أما بعد فإني . . . وبينهما كما ترى كلام ، قال الشاعر :

خير من القوم العصاة أميرهم
ياقوم ، فاستحيوا ، النساء الجلس

= فقعل : ألقى الكتاب وطار إلى كوة في مجلسها ، معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٩١ تحقيق / محمد علي النجار — وقد رجح ذلك (أبو حيان) ذاهبا إلى أن ما في الآية ليس فيه تقديم ولا تأخير وأن معنى : (فألقه إليهم ثم تول عنهم :) تنح عنهم إلى مكان قريب بحيث تسمع ما يصدر منهم وما يرجع به بعضهم إلى بعض من القول ... ذاكرا ما قاله وهب : أمره بالتولي حسن أدب ليتنحى حسب ما يتأدب به الملوك بمعنى . وكن قريباً بحيث تسمع مراجعاتهم) البحر المحيط ٧ / ٧٠

(١) سورة النحل : ٤٣ ، ٤٤

(٢) غافر : ٨٣

والمعنى : خـــير من القوم العصاة أميرهم الفساء الجلس ، ياقوم ، فاستحيوا (١) .

وواضح من العبارة الأخيرة ومن قول الشاعر أن ما فيهما من قبيل الاعتراض مما يوضح أن الأخفش كان يساوى بينهما ، وقد صرح بكل من الاصطلاحين : التقديم والتأخير والاعتراض « أبو حيان » فقال فى قوله تعالى : « فلا يكن فى صدرك حرج منه » اعتراض فى أثناء الكلام .

ولذلك قال بعض الناس : إن فيه تقديما وتأخيرا ولتنذر متعلق بأنزل ، وكذا قال الحوفى والزمخشرى إن اللام متعلقة بقوله : أنزل (٢) .

ومرة فسر الأخفش سر التقديم بما عرف بعد بالتخصيص فى قوله سبحانه فى الآية الأخيرة من الشورى « ألا إلى الله تصير الأمور » (٣) ـ فعلق على تقديم الجار والمجرور بقوله : « لأن الله تبارك وتعالى يتولى الأشياء دون خلقه يوم القيامة ، وهو فى الدنيا قد جعل بعض الأمور إليهم من الفقهاء والسلطان وأشباه ذلك »(٤) .

---

(١) د / فائز فارس ـ معانى القرآن ٣٠٢/٢ .
(٢) أبو حيان : البحر المحيط ٢٦٦/٤ .
(٣) الشورى : الآية الأخيرة .
(٤) د / فائز فارس ٤٧١/٢ .

٢ ـــ تخريج الكلام على خلاف مقتضى ظاهر الحال

(أ) الالتفات :

يقول الأخفش في الكلام على قوله تعالى : « . . . . حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم . . . »[١] وإنما قال : « بهم » .

وقد قال : (كنتم) لأنه يجوز أن تذكر غائبا ثم تخاطب إذا كنت تعنيه ، وتخاطب ثم تجعله في لفظ غائب ، كقول الشاعر :

أسيئي بنا أو أحسني لاملومة لدينا ولا مقلية إن تقلت[٢]

فيكتفي الأخفش بالإشارة كما رأينا إلى أنه قد عدل عن الخطاب إلى الغيبة على طريقة العرب من العدول عن الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة .

وجاء البلاغيون من بعد فلقبوا ذلك بالالتفات ، وذكروا له عدة وجوه[٣] أشهرها ما ذكره الخطيب القزويني من أنه التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة[٤] بعد التعبير عنه بطريق آخر منها ، وذكر (الخطيب القزويني) أن هذا التفسير أخص من تفسير السكاكي لأنه أراد بالنقل : أن يعبر بطريق من هذه الطرق عما عبر عنه بغيره ، أو كان

---

(١) سورة يونس : ٢٢ .

(٢) معاني القرآن : ٢/٣٤٢ .

(٣) منها : التعبير بالمضارع عن الماضي وعكسه ، والانتقال من خطاب الواحد أو الإثنين أو الجماعة إلى الآخر منها . بغية الإيضاح ١/١٥١ .

(٤) التكلم والخطاب والغيبة .

مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره منها فكل التفات عند الجمهور التفات عنده من غير عكس (١) .

ومثل الخطيب بالآية السابقة للالتفات من الخطاب إلى الغيبة (٢) لكنه لم يبين سر هذا العدول كما لم يبينه الأخفش . وقد أشار الخطيب فى نهاية حديثه عن الالتفات إلى سر عام له نقلا عن الزمخشرى (٣) .

وقد أشار (الزمخشرى) إلى نكتة العدول عن الخطاب إلى الغيبة فى الآية بقوله : (فإن قلت : مافائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة ؟ قلت : المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعى منهم الإنكار والتقبيح) (٤) .

وقد عرض (أبو حيان) فى (البحر المحيط) للالتفات فى الآية والهدف منه مشيرا إلى رأى (الزمخشرى) السابق ، وذاكر نكتة ثانية أكثر تفصيلا وأدق تحديدا وأجدنى أميل إليها ويشير إليها بقوله :

---

(١) بغية الإيضاح ١ : ١٥١ ، ١٥٢ .

(٢) ص : ١٥٤ .

(٣) قائلا فى ذلك : (واعلم أن الالتفات من محاسن الكلام ، ووجه حسنه على ما ذكر الزمخشرى :

هو أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وأكثر إيقاظا للإصغاء من إجرائه على أسلوب واحـــد) .

بغية الإيضاح ١ : ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٤) الكشاف ٢/٢٣١ .

(والذى يظهر والله أعلم أن حكمة الالتفات هنا : هى أن قوله : (هو الذى يسيركم فى البر والبحر ..) خطاب فيه امتنان وإظهار نعمة للمخاطبين، والمسيرون فى البر والبحر مؤمنون وكفار والخطاب شامل فحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح على الشكر وامل الطالح يتذكر هـــذه النعمة فيرجع .

فلما ذكرت حالة آل الأمر فى آخرها إلى أن المتلبس بها هو باغ فى الأرض بغير الحق عدل عن الخطاب إلى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون يخاطبون بصدور مثل هذه الحالة التى آخرها البغى(١) .

وقد لخص «السيوطى» هذه النكتة التى أشار إليها «أبو حيان» بقوله: «وقيل : لأن الخطاب أولا كان مع الناس مؤمنهم وكافرهم ، بدليل : « هو الذى يسيركم فى البر والبحر .) فلو كان : (وجرين بكم) للزم الذم للجميع، فالتفت عن الأول للإشارة إلى اختصاصه بهؤلاء الذين شأنهم ما ذكره عنهم فى آخر الآية عدولا من الخطاب العام إلى الخاص)(٢) .

كما أشار (السيوطى) إلى رأى (الزمخشرى) ، وذكر رأيا آخر رأى أنه أشبه بآراء الصوفية وهو : أنهم وقت الركوب حضروا لأنهم خافوا الهلاك وغلبة الرياح فخاطبهم خطاب الحاضرين ، ثم لما جرت الرياح بما تشتهى السفن وأمنوا الهلاك لم يبق حضورهم كما كان على عادة الإنسان أنه إذا أمن غاب قلبه عن ربه ، فلما غابوا ذكرهم الله بصيغة الغيبة(٣) .

وقد أورد (السيوطى) الآراء السابقة حول السر البلاغى للالتفات فى

---

(١) أبو حيان : البحر المحيط ١٣٨/٥ ، ١٣٩
(٢) السيوطى : الإتقان ٢٥٤/٢ ، ٢٥٥
(٣) المرجع السابق .

الآية بدون ترجيح منه لواحد منها ، غير أن رأى (أبى حيان) يكاد يكون أنسبها وأكثرها قبولا .

وكذلك نرى (الأخفش) اكتفى بالإشارة إلى أن فى الكلام انتقالا وعدولا من ضمير لضمير مكتفياً بالاستشهاد على ذلك بوجوده فى كلام العرب ، وتوسع الباحثون بعد ذلك فى تلك الإشارات بوضع ألقاب لها والبحث عن أسبابها وأسرارها ، ومع ذلك لانستغنى عن الإشارات الأولى لوضوحها وإيجازها وللاستشهاد عليها بكلام العرب .

(ب) وضع المظهر موضع المضمر :

يقول الأخفش فى قوله تعالى : (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين)[1] .

فأظهر الاسم وقد ذكره فى أول الكلام : قال الشاعر :

ليت الغراب غداة ينعب دائبا   كان الغراب مقطع الأوداج[2]

وهكذا بكل وضوح وإيجاز جاءت إشارة (الأخفش) موضحا لها بما ورد من كلام العرب . وهو يريد بالاسم المظهر بعد ذكره فى أول الكلام (الله) .

وجاء الباحثون بعد ذلك فوضعوا لذلك عنوان : الإظهار فى مقام الإضمار - وحاولوا استخراج أسرار واستنباط علل لذلك .

---

(١) البقرة : ٩٨
(٢) معانى القرآن ١/١٤٠

فالزمخشرى يشير إلى أن الاسم المظهر الذى وضع موضع المضمر هو «الكافرين» أراد : عدو لهم ، ويعلل لذلك بأن الاسم الظاهر «للكافرين» يدل على أن الله إنما عاداهم لكفرهم . وأن عداوة الملائكة كفر ، وإذا كانت عداوة الأنبياء كفراً فما بال الملائكة وهم أشرف؟ والمعنى : من عاداهم عاداه الله وعاقبه أشد العقاب(١) .

وقد نقل «السيوطى» كلام الزمخشرى السابق معنوناً له « بالتنبيه على علية الحكم » ومشيراً إلى أن ذلك من أنواع الإطناب(٢) .

أما « أبو حيان » فقد ذكر عند تفسيره للآية أن وضع المظهر موضع المضمر فيها يتمثل فى أمرين :

أحدهما : «للكافرين» موضع «لهم» معللا بما قال به الزمخشرى وبعلة أخرى هى : تواخى أواخر الآى .

وثانيهما : ما ذكره الأخفش وهو : إظهار لفظ الجلالة بعد تقدم ذكره معللا لذلك بعدة علل منهـــا : احتمال أن يفهم أن الضمير عائد على اسم الشرط فينقلب المعنى ، أو عائد على أقرب مذكور وهو ميكال ، فأظهر الاسم لزوال اللبس أو للتعظيم والتفخيم ، لأن العرب إذا فخمت شيئاً كررته بالإسم الذى تقدم له ومنه : «ولينصرن الله من ينصره . . . إن الله لقوى عزيز(٣) » وقول الشاعر :

لا أرى الموت يسبق الموت شيأ(٤)

---

(١) الكشاف ١/٣٠٠
(٢) السيوطى : الإتقان ٣/٢١٧ ، ٢١٨
(٣) الحج : ٤٠
(٤) أبو حيان : البحر المحيط ١/٣٢٢

(ج) القلب

من تخريج الكلام على خلاف مقتضى ظاهر الحال : القلب ويعرفه البلاغيون بأنه : جعل جزء من الكلام مكان الآخر على وجه يثبت حكم كل منهما للآخر(١) .

ويختلف البلاغيون فى موقفهم منه قبولا أو رفضاً .

فيرده مطلقاً قوم — لأنه عكس المطلوب ونقيض المقصود ، وقيل : إنه لايكاد أحد يمنعه مطلقاً ، لوروده فى القرآن وفصيح الكلام .

وقبله مطلقاً قوم : لأن قلب الكلام مما يحوج إلى التنبه للأصل ، وذلك مما يورث الكلام ملاحة ولطفاً ، والحق أنه إن تضمن اعتباراً لطيفاً قبل وإلا رد(٢) .

فمن الأول : « المقبول » قول رؤبة :

ومهمه مغبرة أرجاؤه
كأن لون أرضه سماؤه(٣)

أى كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه ، فعكس التشبيه للمبالغة وهى المعنى اللطيف الذى يفيده القلب .

---

(١) بغية الإيضاح ١٦٣/١

(٢) المرجع السابق .

(٣) هو لرؤبة بن عبد الله بن رؤبة ، والمهمه : المفازة ، والأرجاء جمع رجاء وهو الناحية بغية الإيضاح ١٦٤/١

ومن الثانى : (المردود) قول عروة بن الورد :

فلو أنى شهدت أبا سعاد
غداة غدا لمهجته يفوق

فديت بنفسه نفسى ومالى
وما آلوك إلا ما أطيق(١)

والأصل : فديت نفسه بنفسى ومالى ، وليس فى قلبه اعتبار لطيف لأنه يوهم خلاف المراد(٢) .

أما قول خداش بن زهير :

وتلحق خيل لاهوادة بينها
وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر(٣)

فقد ذكر « الخطيب القزوينى » أنه ذكر له سوى القلب وجهان :

أحدهما : أن يجعل شقاء الرماح بهم استعارة عن كسرها بطعنهم بها .

---

(١) يقال : فاق بمجته ولمهجته يفوق : إذا أشرفت نفسه على الخروج أو خرجت) وقوله وما آلوك — بمعنى لم أقصر فيك .
المرجع السابق ١٦٦/١

(٢) المرجع السابق : ١٦٤/١ — ١٦٦

(٣) الهوادة : اللين والرفق ، أو مايرجى به الصلاح بين القوم ، وعلى هذا يكون المراد : لا هوادة بين أصحابها ، والضياطرة : جمع ضيطر وهو الضخم اللئيم العظيم الإست ، والحمر : جمع أحمر اللون ، وقيل : هو الذى لاسلاح معه .

والثانى : أن يجعل نفس طعتهم شقاء لها تحقيراً لشأنهم وأنهم ليسوا أهلا لأن يطعنوا بها[١].

هذا ماذكره البلاغيون المتأخرون عن القلب ، فماذا ورد بشأنه من إشارات فى «معانى القرآن» للأخفش ؟

لم يصرح «الأخفش» بلفظ «القلب» إنما فهم ذلك من تعليقه ، وما ساقه من أقوال عربية عندكلامه على قول الله تعالى :

« . . ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة . . . »[٢].

فيقول « الأخفش » قوله : « تنوء بالعصبة » ، إنما العصبة تنوء بها ، وفى الشعر :

تنوء بها فتثقلها عجيزتها

وليست العجيزة تنوء بها ، ولكنها هى التى تنوء بالعجيزة[٣].

وكذلك اكتفى « أبو عبيدة » فى تفسير معنى القول الكريم بالاستشهاد بما جاء من كلام العرب حتى ماعده المتأخرون من القلب غير المقبول فيقول: « مجازه : ما إن العصبة ذوى القوة لتنوء بمفاتح نعمه ، ويقال فى الكلام : إنها لتنوء بها عجيزتها ، وإنما هى تنوء بعجيزتها كما ينوء البعير بحمله . والعرب قد تفعل مثل هذا ، قال الشاعر :

فديت بنفسه نفسى ومالى
ولا آلوك إلا ما أطيق

---

(١) المرجع السابق ١/١٩٧

(٢) القصص : ٧٦

(٣) معانى القرآن ٢ / ٤٣٤

والمعنى : فديت بنفسى وبمالى نفسه ، وقال :

وتركب خيل لاهوادة بينها
وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر

وإنما تشقى الضياطرة بالرماح[١] .

وإذا كان كل من الأخفش وأبي عبيدة فسرا الكلام على أن فيه قلباً وأن المراد : نوء العصبة بالمفاتيح، فإن الفراء المعاصر لهما قد ذكر تفسيراً لا يحتمل قلباً جاعلا « تنوء » بمعنى «تنيء» أى تثقلهم .

والمعنى : ما إن مفاتحه لتنئ العصبة — أى تميلهم من ثقلها، فإذا أدخلت الباء قلت : تنوء بهم وتنيء بهم[٢] .

والفراء كأبي عبيدة والأخفش لم يرد ضمن كلامه لفظ القلب حتى «الزمخشرى» لم يستعمل لفظ «القلب عند عرضه لتفسير الآية مكتفياً بقوله: ناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله[٣] .

ومع ترجيحى للرأى القائل بقبول القلب إذا تضمن معنى لطيفاً

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١١٠

(٢) الفراء : معانى القرآن ٢/٣١٠ ، وقد رجح ذلك « أبو حيان » بقوله : « الصحيح أن الباء للتعدية : أى لتنيء العصبة كما تقول : ذهبت به وأجأته، ونقل هذا عن الخليل وسيبويه والفراء واختاره النحاس ، وروى معناه عن بن عباس وأبي صالح والسدى ، وتقول العرب : ناء الحمل بالبعير — إذا أثقله .

أبو حيان — البحر المحيط ٧/١٣٢ مطابع النصر — الرياض .

(٣) الكشاف ٣/١٩٠

كالمبالغة فى قلب التشبيه ، فإنى أرى أن ما فى الآية ليس من قبيل القلب وأنه من قبيل الاستعارة التصريحية فى لفظ « تنوء » — وأن المفاتح لثقلها تكاد تقطع أو تنكسر ، كما أشار « الخطيب » فيما مضى فى لفظ « اشتقى » — — أو من قبيل المجاز العقلى حيث يكون أسند النوء إلى المفاتح مبالغة لكونها سبباً فى تعب العصبة وزيادة الثقل عليهم وقد أشار إلى ذلك التفسير « الشريف الرضى » غير أنه سماه « استعارة مقلوبة » فى قوله : « وهذه الاستعارة على القلب ، لأن المراد أن العصبة أولى القوة تنوء بتلك المفاتح أى تنهض بها نهضاً متثاقلا لكثرة أعدادها وثقل اعتمادها، ولكن لما كانت هى السبب فى نوء تلك العصبة بها على التثاقل من نهضوا كانت كأنها هى التى تنوء بالعصبة ، أى تحوجوا إلى النهوض على تلك الحال من المشقة »(١) .

---

(١) الشريف الرضى: تلخيص البيان فى مجازات القرآن ١٧٨ ، واختار ذلك « ابن عطية » فقال : ويمكن أن يسند « تنوء » إلى « المفاتح » لأنها تنهض بتحامل إذا فعل ذلك الذى ينهض بها ، وذا مطرد فى : « ناء الحمل بالبعير ونحوه » .

أبو حيان — البحر المحيط ١٣٢/٧ مطابع النصر — الرياض .

(د) وضع الإنشاء موضع الخبر

من تخريج الكلام على خلاف مقتضى ظاهر الحال : وضع الإنشاء موضع الخبر والخبر موضع الإنشاء لاسرار بلاغية . وقد تضمنت إشارات الأخفش شيئاً من ذلك وهو الاستفهام الذى قصد به الإخبار فى قوله تعالى : « سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » (١) .

فيعلق « الأخفش » على ذلك بقوله : « فإنما دخله حرف الاستفهام وليس باستفهام لذكره السواء ، لأنه إذا قال فى الاستفهام : أزيد عندك أم عمرو ؟ وهو يسأل : أيهما عندك ؟ فهما مستويان عليه ليس واحد منهما أحق بالاستفهام من الآخر . فلما جاءت التسوية فى قوله : « أأنذرتهم » شبه بذلك الاستفهام إذا شبهه فى التسوية ، ومثلها : « سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم(٢) .

وعلى الرغم من وضوح المقصود من الآية وهو استواء الإنذار وعدم الإنذار فى تحقيق إيمانهم (٣) لعدم هداية الله لهم وختمه على قلوبهم فإن عبارات « الأخفش » لا تسعفنا هذه المرة فى إدراك المقصود ، ولذلك نجد عبارات « أبى عبيده » على وجازتها أكثر وضوحا فى الدلالة على المقصود بقوله : « هذا كلام ، هو إخبار ، خرج مخرج الاستفهام وليس هذا إلا فى ثلاثة مواضع هذا أحدها .

---

(١) البقرة : ٦

(٢) المنافقون : ٦ — وانظر معانى القرآن ١ : ٢٨ ، ٢٩

(٣) كما يقول أبو حيان : « إخبار بانتفاء إيمانهم على تقدير : إنذارك وعدم إنذارك ١/٤٥ أبو حيان البحر المحيط ط أولى ١٣٢٨ هـ مصر مطبعة السعادة .

والثانى : ما أبالى أقتلت أم أدوت ؟

والثالث : ما أدرى أوليت أم جاء فلان ؟ (١) .

وقد لقب السيوطى ذلك « بالتسوية » حيث جعلها من المعانى التى يستعمل الاستفهام فيها على سبيل المجاز (٢) .

أما « الزمخشرى » قبله فقد وضح ما فى الآية من خروج الاستفهام عن معناه واستعماله فى الخبر كما تستعمل وجوه الإنشاء الأخرى مثل النداء لغير معناها الذى وضعت له بقوله :

« والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء ، وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأساً ، جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك : اللهم اغفر لنا أيتها العصابة (٣) .

يعنى أن هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام «كما أن ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ، ومعنى الاستواء : استواؤهما فى علم المستفهم عنهما ، لأنه قد علم أن أحد الأمرين كائن إما الإنذار وإما عدمه ولكن لا بعينه ، فكلاهما معلوم بعلم غير معين .

---

(١) د / محمد فؤاد سزكين - مجاز القرآن لأبى عبيدة المتوفى سنة ٢١٠ هـ ١/٣١ ط ثانية ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م - مكتبة الخانجى - دار الفكر .

(٢) السيوطى : الإتقان ٢ / ٢٢٥ ، ٢٢٨ ط أولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم

(٣) أى متخصصين من بين الأقوام والعصائب ، فالنداء هنا يراد به : الاختصاص .

بغية الإيضاح ٢ / ٧٨

وإذا كان الزمخشرى قد اكتفى فى كلامه السابق على توضيح خروج الاستفهام عن معناه إلى الإخبار بالقياس على النداء ، فإن السيد الشريف الجرجانى يجعل ذلك بالنسبة للاستفهام والنداء من قبيل المجاز بالمقيد والمطلق ، فالهمزة المعادلة لـ « أم » موضوعة فى الأصل للاستفهام عن أحد متعادلين فى عدم علم التعيين، فنقلت إلى مطلق المعادلة وإن لم يكن استفهاماً وكذلك حرف النداء موضوع فى الأصل لتخصيص المنادى بالدعاء ثم نقل إلى مطلق التخصيص ولا نداء(١) .

وهكذا نجدنا فيما سبق نعيش مع التراث البلاغى متقدمه ومتأخره آخذين من كل مايزيد فهمنا للنص ويقفنا على أسراره ، فلم تسعفنا إشارات « الأخفش » لما اكتنفها من غموض ، وتجىء إشارات « أبى عبيدة » أكثر وضوحاً ، ونأتى إلى « الزمخشرى » فنجد الشرح والتوضيح ، ثم إلى « السيوطى » حيث نجد القالب الذى وضع فيه مثل ذلك وهو : التسوية على سبيل المجاز(٢) .

---

(١) الكشاف ١/١٥٢ ، ١٥٣ ط أخيرة — الحلبى ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢م

(٢) غير أن كل واحد من السابقين لم يكشف لنا عن السر الذى خرج به ذلك الخبر فى صورة الاستفهام ، وقد أشار « ابن عطية » إلى ذلك السر بقوله : « أأنذرتهم أم لم تنذرهم » لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الخبر ، وإنما جرى عليه لفظ الاستفهام ، لأن فيه التسوية التى هى فى الإستفهام ، ألا ترى أنك إذا قلت مخبراً : سواء على أقمت أم قعدت أم ذهبت وإذا قلت مستفهما : أخرج زيد أم قام ؟ فقد استوى الأمر ان عندك هذان فى الخبر وهذان فى الإستفهام ، وعدم علم أحدهما بعينه فلما عمتهما التسوية جرى على الخبر لفظ الاستفهام لمشاركته إيا فى الإبهام .
=

. . . .

= ١/٤٧ — أبو حيان — البحر المحيط ط أولى ١٣٢٨ هـ مصر - م - السعادة

وفائدة الإنذار مع تساويه مع العدم : أنه قاطع لحجتهم ، وأنهم قد دعوا فلم يؤمنوا ، ولئلا يقولوا : ربنا لولا أرسلت — وأن فيه تكثير الأجر بمعاناة من لا قبول له للإيمان ومقاساته ، وأن فى ذلك عموم إنذاره لأنه أرسل للخلق كافة . ١/٤٨

الإقرار أو التقرير

من المعاني التي يخرج الاستفهام إليهـــا وتفهم بالقرائن : الإقرار أو التقرير[١] وقد ذكره «الأخفش» عند الكلام على قوله تعالى : «أتجعل فيها من يفسد فيها»[٢] مبيناً أن الاستفهام في الآية قد يكون حقيقياً وقد يكون تقريرياً مستشهداً على ذلك بكلام العرب فيقول : «أما قول الملائكة . «أتجعل فيها من يفسد فيها» فلم يكن ذلك إنكاراً منهم على ربهم إنما سألوا ليعلموا، وأخبروا عن أنفسهم أنهم يسبحون ويقدسون، أو قالوا ذلك لأنهم كرهوا أن يعصى الله ، لأن الجن قد كانت أمرت قبل ذلك فعصت — وقوله : «أتجعل فيها» جاء على وجه الإقرار كما قال الشاعر :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح[٣]

وذكر أبو حيان في تفسيره للآية عدة وجوه للاستفهام عن عدد من العلماء غير مرجح واحد منها وهي : الحقيقي ، والإقرار ، والتعجب ،

---

(١) أي حمل المخاطب على الإقرار وإلجاؤه إلى ذلك لغرض — كأن يكون السامع منكراً لوقوع الفعل من المخاطب فتريد أن يسمعه منه دون أن تقصد إلى حقيقة الاستفهام المستلزم للجهل أو يكون في السماع منه تلذذ بسبب المراجعة في الخطاب ص ٨٧ — دلائل الإعجاز تحقيق / أحمد مصطفى المراغي ط ثانية ـ المكتبة المحمودية التجارية .

(٢) البقرة ٣٠

(٣) د / فائز فارس — معاني القرآن ١/٥٦ — البيت لجرير من قصيدة له في مدح عبد الملك بن مروان، وأندى : أفعل تفضيل من الندى، والراح: واحده راحة وهي باطن الكف — بغية الإيضاح ٢/٦٦

والاستعظام ، وأميل إلى أن المراد بالاستفهام هنا التعجب(١) ، فيقول أبو حيان : « ولما كانت الملائكة لا تعلم الغيب ولا تسبق بالقول لم يكن قولهم : « أتجعل فيها » الآية إلا عن نبأ ومقدمة ، فيقول : الهمزة وإن كان أصلها للاستفهام فهو قد صحبه معنى التعجب قاله مكي وغيره ، كأنهم تعجبوا من استخلاف الله من يعصيه ، أو من عصيان من يستخلفه في أرضه ، وقيل : هو استفهام على طريق الاستعظام والإكبار للاستخلاف والعصيان ، وقيل : هو استفهام معناه التقرير ، قاله أبو عبيدة ، قال الشاعر :

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح

وعلى هذه الأقوال يكون علمهم بذلك قد سبق إما بإخبار من الله أو بمشاهدة في اللوح . أو قالوا ذلك بطريق القياس على من سكن الأرض فأفسد قبل سكنى الملائكة . واستنبطوا ذلك من لفظ (خليفة) إذ الخليفة

---

(١) مثل الخطيب في الإيضاح للاستفهام التعجبي بقوله تعالى : « مالي لا أرى الهدهد » بغية الإيضاح ٢/٦٣ — وقد ذهب الزمخشري إلى أن الاستفهام للتعجب ونقل « أبو حيان » كلامه مع الوجوه الأخرى التي ساقها للاستفهام فيقول « الزمخشري » : « أتجعل فيها » تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية ، وهو الحكيم الذي لا يفعل إلا الخير ولا يريد إلا الخير » .

وأجاب الزمخشري على معرفتهم بما لو سألوا عنه وهو غيبي حتى يكون الاستفهام للتعجب فيقول : (فإن قلت : من أين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وإنما هو غيب؟ قلت : عرفوه بإخبار من الله أو من جهة اللوح أو ثبت في علمهم أن الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون ، وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم ، أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر حيث أسكنوا الأرض فأفسدوا فيها قبل سكنى الملائكة) الكشاف ١/٢٧١

من يكون نائباً في الحكم ، وذلك يكون عند التظالم(١)، وقيل: هو استفهام محض ، قالة أحمد بن يحيى وقدره : أتجعل هذا الخليفة على طريقة من تقدم من الجن أم لا(٢) .

فنرى أن مصطلح (الإقرار أو التقرير) الذى يعد من المعانى التى يخرج الاستفهام إليها قد ورد فى كلام (الأخفش) وكذلك ذكره (أبو عبيدة) ومرة أخرى يذكر الأخفش من الإشارات والشواهد التى سيق بعض منها مايدل على أن الاستفهام يراد به التقرير وإن لم يصرح بلفظ التقرير فى الحديث عن قوله تعالى : (رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن)(٣) فيقول : (وأما قوله : (رب أرنى كيف تحيي الموتى) فلم يكن ذلك شكاً منه ، ولم يرد به رؤية القلب ، وإنما أراد به رؤية العين ، وقول الله عز وجل له : (أو لم تؤمن) البقرة : ٢٦٠ ، تقول : ألست قد صدقت ، أى : أنت كذلك ، قال الشاعر :

ألستم خير من ركب المطايا   وأندى العالمين بطون راح

وقوله : (ليطمئن قلبي) أى : قلبي ينازعني إلى النظر ، فإذا نظرت اطمأن قلبي(٤) .

وقد وضح (الزمخشرى) من بعد ذلك السر البلاغى لاستعمال الاستفهام السابق فى التقرير فى قوله : (فإن قلت : كيف قال له : (أو لم تؤمن) وقد علم أنه أثبت الناس إيماناً ؟ قلت : ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة

---

(١) وتلك هى القرائن الدالة على عدم قصد المعنى الحقيقى للاستفهام .

(٢) أبو حيان : البحر المحيط ١٤١:١ ، ١٤٢

(٣) البقرة : ٢٦٠

(٤) د / فائز فارس ـ معانى القرآن ١/١٨٣

الجليلة للسامعين و (بلى) إيجاب لما بعد النفي معناه : بلى آمنت « ولكن ليطمئن قلبي) ليزيد سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين ، ولأن علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم بالضرورة ، فأراد بطمأنينة القلب : العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك .

وينفي (السيد الشريف الجرجاني) مايتوقع من شك في قول إبراهيم (كيف تحيي الموتى) بقوله : (أما سؤال الخليل عليه السلام بقوله له : كيف تحيي الموتى ؟ فليس عن شك والعياذ بالله في قدرة الله على الإحياء ، ولكنه سؤال عن كيفية الإحياء ، ولا يشترط في الإيمان الإحاطة بصورتها فإنما هي طلب علم مالا يتوقف الإيمان على علمه .

ويدل على ذلك ورود السؤال بصيغة (كيف) وموضعها السؤال عن الحال .

ونظير هذا السؤال أن يقول القائل : كيف يحكم زيد في الناس ؟ فهو لا يشك أنه يحكم فيهم ، ولكنه سأل عن كيفية حكمه لاثبوته ولو كان الوهم قد يتلاعب ببعض الخواطر فيطرق إلى إبراهيم شك من هذه الآية ، وقد قطع النبي عليه الصلاة والسلام دابر هذا الوهم بقوله : (نحن أحق بالشك من إبراهيم) أي ونحن لم نشك فلأن لايشك إبراهيم أحرى وأولى(١)

ويزيد (أبو حيان) توضيح المراد من قوله (كيف تحيي الموتى) وإزالة مايتوهم من شك عنده في قدرة الله على إحياء الموتى بقوله(وأما قصة إبراهيم فهي سؤال لكيفية إرادة الإحياء ليشاهد عيانا ما كان يعلمه بالقلب

---

(١) الزمخشري . الكشاف ١ / ٢٩١

وأخبر به نمروذ ... ونقول . ألفاظ الآية لاتدل على عروض شيء يشين المعتقد لأن ذلك سؤال أن يريه عيانا كيفية إحياء الموتى ، لأنه لما علم ذلك بقلبه وتيقنه واستدل به على « نمروذ » فى قوله : « ربى الذى يحيي ويميت » طلب من الله تعالى رؤية ذلك لما فى معاينه ذلك من رؤية اجتماع الأجزاء المتلاشية والأعضاء المتبددة والصور المضمحلة واستعظام باهر قدرته تعالى والسؤال عن الكيفية يقتضى تيقن ماسأل عنه وهو الإحياء ، وتقرره والإيمان به وأنه مما انطوى الضمير على اعتقاده . . . . (قال أولم تؤمن) الهمزة للتقرير كقوله : ألستم خير من ركب المطايا .

وقوله تعالى : « ألم نشرح لك صدرك » المعنى : أنتم خير ، وقد شرحنا لك صدرك ، وكذلك هذا معناه : قد آمنت بالإحياء(١)

فقد رأينا أن « الأخفش » قد صرح مرة بلفظ (الإقرار) ولم يصرح به مرة ثانية ذاكراً من العبارات والشواهد مايعبر عنه . أما السر البلاغى فلم يشر إليه وقد جاء فى مرحلة تالية كما رأينا عند الزمخشرى

---

(١) أبو حيان : البحر المحيط ٢ /٢٩٦ ، ٢٩٧

من المعانى المجازية للأمر

وقد ذكر البلاغيون أن « الأمر » قد يستعمل فى غير معناه الحقيق « طلب تحقيق شىء على جهة الوجوب » إلى معان أخر تفهم من السياق وتستفاد من قرائن الأحوال منها :

التعجيز(١) ـ وقد أشار « الأخفش » بعباراته المفسرة وشواهده المؤيدة لهذا المعنى دون أن يذكر لفظه وذلك فى قوله تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين(٢) فيقول :

« يريد عرض عليهم أصحاب الأسماء ، ويدل على ذلك قوله « أنبئونى بأسماء هؤلاء » ، فلم يكن ذلك لأن الملائكة ادعوا شيئا ، إنما أخبر عن جهلهم بعلم الغيب وعلمه بذلك وفضله ، فقال : « أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » كما يقول الرجل للرجل : أنبئنى بهذا إن كنت تعلم ، وهو يعلم أنه لا يعلم . يريد : انه جاهل ، فأعظموه عند ذلك فقال : « سبحانك لا علم لنا » بالغيب على ذلك ، ونحن نعلم أنه لا علم لنا بالغيب إخباراً عن انفسهم بنحو ما خبر الله عنهم(٣)

---

(١) مثل « الخطيب » للتعجيز بقولك لمن يدعى أمراً يعتقد أنه ليس فى وسعه ـ افعله ـ وقوله تعالى : « فأتوا بسورة من مثله .. » البقرة : ٢٣ بغية الإيضاح ٢ / ٧٣

(٢) سورة البقرة : ٣١

(٣) د . فائز فارس ـ معانى القرآن ١ / ٥٦ ، ٥٧

وقد صرح العلماء فيما بعد بالمقصود من الأمر وهو التعجيز فيقول أبو حيان : « أنبئوني » أمر تعجيز لا تكليف(١)

الفصل والوصل

لم أعثر « للأخفش » في كتابه (معاني القرآن) على كلام عن أسرار فصل بعض الآيات والعبارات ووصلها إلا إشارة واحدة ينطبق عليها مالقبه البلاغيون فيما بعد (بشبه كمال الاتصال) وطبعا هو لم يذكر ذلك أما ماذكره فهو تعليقه على قول الله : (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين .... وأزواج مطهرة(٢) ...) بقوله : كأنه قيل لهم : ماذا لهم ؟ وماذاك ؟ فقيل : هو كذا وكذا(٣)

وإشارات الأخفش السابقة هي التي عنون لها البلاغيون المتأخرون بشبه كمال الاتصال كوجه من وجوه الفصل وهو : أن تكون الجملة الثانية جواباً لسؤال اقتضته الجملة الأولى(٤) ، وأن الفصل لذلك يسمى استئنافاً وتسمى الجملة الثانية مستأنفة ، وقد صرح (الزمخشري) بذلك في تعليقه على قوله تعالى : (للذين اتقوا عند ربهم جنات ...(٥)) بقوله :

---

(١) البحر المحيط ١ / ١٤٦

(٢) سورة آل عمران : ١٥

(٣) د / فائز فارس ١ / ١٩٨

(٤) فتفصل عنها كما يفصل الجواب عن السؤال — بغية الإيضاح : ٢ / ٩٧ ، ٩٨

(٥) سورة آل عمران : ١٥

« كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ماهو خير من ذلك كما تقول : هل أدلك على رجل عالم عندى ، رجل من صفته كيت وكيت »(١)

فترى أن « الأخفش » وإن لم يرد فى كلامه شىء مما عرف بعد بالفصل والوصل ، إلا أن إشارته السابقة وهى التى فسرتها « شبه كمال الاتصال » فيما بعد ترينا إلى أى حد كانت تلك الإشارات الموجزة أساساً لما وضع بعد ذلك من مصطلحات وأن الرجوع إليها يعد خير معين على استيضاح تلك المصطلحات .

(١) الكشاف ١ / ٤١٦

الإيجاز والإطناب

لا يوجد كبير اختلاف بين البلاغيين فيما جاء لهم من كلام عن الإيجاز، فما ذكره اللغويون والبلاغيون المتقدمون عن الإيجاز قد ردده البلاغيون المتأخرون بنصه فيما عدا بعض التحديدات وإضافة بعض القيود .

ففيما يتعلق بالإيجاز عند الأخفش تبين أن تعليقاته على ماتتضمنه بعض الآيات من إيجاز قد اتفق معه فيها عدد من المعاصرين له، ولم يزد المتأخرون زيادات ذات بال كما ذكرنا إلا بعض التحديدات ككون المحذوف: جزء جملة أو جملة أو أكثر من جملة(١)، والنص على توفر شرط الإيجاز بالحذف في : وجود مرجح الحذف على الذكر ، ووجود دليل يعين المحذوف ويشير إليه .

ونعرض فيما يلي الآيات التي اشتملت على إيجاز بالحذف لنتبين التقارب الكبير بين البلاغيين في التعليق عليها . وكلها من الإيجاز بالحذف إذ لم نجد له كلاما عن الإيجاز بالقصر .

---

(١) في قول الخطيب عند تعريفه للإيجاز بالحذف بأنه مايتحقق بحذف شيء من التركيب ، والمحذوف إما : جزء جملة أو جملة أو أكثر من جملة . بغية الإيضاح ١٣٩/٣

حذف المسند (الخبر)

فمن ذلك قوله تعليقاً على قوله تعالى: أفمن شرح الله صدره .. فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله .. « الزمر: ٢٢ فيقول: لجمل « قوله: « فويل للقاسية قلوبهم » مكان الخبر(١) » .

فإشارته السابقة جعلها الباحثون فيما بعد الدليل على المحذوف أما تعيين المحذوف وتقديره فلم يشر إليه ، ولذلك نجـــد الشرح والتفصيل وتحديد المحذوف وتقديره عند الزمخشري حيث يقول: (أفمن شرح ...) عرف الله أنه من أهل اللطف فلطف به حتى إنشرح صدره للإسلام ورغب فيه وقبله كمن لالطف له فهو حرج الصدر قاسي القلب(٢) .

وقد حدد « أبو حيان » كلا من الدليل والمحذوف في قوله: « من مبتدأ وخبره محذوف يدل عليه: « فويل للقاسية قلوبهم » تقديره: كالقاسي المعرض عن الإسلام(٣) .

وأحيانا يحدد « الأخفش المحذوف بدون ذكر الدليل عليه في قوله تعالى: « أفمن يتقي بوجهه ...(٤)» فيقول: « فهذا لم يظهر له خبر في اللفظ ولكن في المعنى ، والله أعلم كأنه: أفمن يتقي بوجهه أفضل أم من لا يتقي(٥)

(١) د/ فائز فارس ـ معاني القرآن ٢/٤٥٥
(٢) الكشاف ٣/٣٩٤
(٣) ويعرف ذلك بحذف المسند .
(٤) الزمر: ٢٤
(٥) د/فائز فارس ـ معاني القرآن ٢/١٥٦

وقريب منه ماذكره الفرآء « وجوابه من المضمر الذى ذكرت لك - أى أهذا الذى يتقى بوجهه سوء العذاب خير أم من ينعم فى الجنان(١)»

ولم يختلف عنهما تعليق الزمخشرى : (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب) « كمن أمن العذاب ، لحذف الخبر كما حذف فى نظائره(٢) » .

ونجد الأخفش هذه المرة يعين المحذوف ، ويذكر الدليل عليه فى قوله تعالى : « أفمن هو قائم على كل نفس . . وجعلوا لله شركاء . . » الرعد ٣٣ - فيقول : « فهذا فى المعنى : أفمن هو قائم على كل نفس مثل شركائكم ، وحذف فصار : « وجعلوا الله شركاء » يدل عليه(٣) » .

وكذلك صنع الفراء مع اختلاف يسير فى التعبير واستشهاد بماورده من الشعر فيقول : « أفمن هو قائم .... بما كسبت .... » ترك جوابه ولم يقل : كهكذا لأن المعنى معلوم(٤) ، وقد بينه مابعده إذ قال : « وجعلوا لله شركاء » كأنه فى المعنى قال : كشركائهم الذين اتخذوهم ، ومثله قول الشاعر :

تخيرى خيرت أم عال بين قصير شبره تنبال
أذاك أم منخرق السربال(٥) ولا يزال آخر الليالى
متلف مال ومفيد مال

---

(١) الفراء . معانى القرآن ٤١٨/٢

(٢) الكشاف : ٣٩٦/٣ - وهو أيضا من حذف المسند .

(٣) د/ فائز فارس - معانى القرآن ٣٧٣/٢

(٤) ذلك يعد تأكيدا لما ذكره البلاغيون من بعد من وجود مرجح الحذف على الذكر .

(٥) منخرق السربال : كأنه كناية عمن يشتغل فى خدمة أهله ، فينخرق سرباله ، والسربال : الثوب والقميص .

تخيرى بين كذا وبين منخرق السربال ، فلما أن أتى به فى الذكر كفى من إعادة الإعراب عليه(١) .

ولا يعلق الباحثون الذين جاءوا بعد ذلك بفترة طويلة بأكثر من تعيين المحذوف ، والدليل عليه ، فيقول أبو حيان :

« من موصولة صلتها مابعدها وهى مبتدأ والخبر محذوف تقديره : كمن ييئس كذلك من شركائهم التى لا تضر ولا تنفع كما حذف من قوله : « أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه » تقدير : كالقاسى قلبه الذى هو فى ظلمة ، ودل عليه قوله تعالى : « وجعلوا لله شركاء » كما دل على القاسى : « فويل للقاسية قلوبهم(٢) .

ويزيد « أبو حيان » توضيحه السر البلاغى للحذف فيقول : « ويحسن هذا الخبر كون المبتدأ يكون مقابله الخبر المحذوف ، وقد جاء مثبتا كثيرا كقوله تعالى : « أفمن يخلق كمن لايخلق(٣) « أفمن يعلم(٤) » ثم قال : كمن هو أعمى(٥) .

---

(١) أى البيان والتصريح بما هو معلوم ـ الفراء : معانى القرآن ٢/٦٤

(٢) أبو حيان : البحر المحيط ٥/٣٩٤ ـ فهو أيضاً من حذف المسند .

(٣) سورة النحل : ١٧

(٤) سورة الرعد : ١٩

(٥) أبو حيان : البحر المحيط ٥/٣٩٤

حذف جواب « لو » الشرطية

يشير « الأخفش » إلى أن هناك حذفا فى الآية (إضماراً) فقط بدون أن يحدد المحذوف ، أو يعين الدليل عليه ، مكتفيا بتحديد المحذوف فيما جاء على غراره من كلام العرب نتبين ذلك من تعليقه على قول الله تعالى : « ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة .... عذاب الحريق(١) » فيقول: فأضمر الخبر ، والله أعلم ، وقال الشاعر :

إن يكن طبك الدلال فلوفى
سالف الدهر والسنين الخوالى

يريد بقوله : « فلوفى سالف الدهر » يقول : فلو كان فى سالف الدهر لكان كذا وكذا ، فحذف هذا الكلام كله(٢)

« وأبو عبيدة » المعاصر له يحدد المحذوف فى موطن آخر(٣) مايدل على عدم اتفاق المعاصرين حول كل مسألة نتبين ذلك من قوله : « مجازه مجاز المختصر المضمر فيه وهو بمعنى : ويقولون ذوقوا عذاب الحريق ، والعرب تفعل ذلك قال النابغة :

كأنك من جمال بنى أقيش يقعقع خلف رجليه بشن

معناه : كأنك جمل ، والعرب تقدم المفعول قبل الفاعل(٤) .

---

(١) سورة الأنفال : ٥٠

(٢) د / فائز فارس ـ معانى القرآن ٢ / ٣٢٤ ، ٣٢٥

(٣) غير جواب الشرط .

(٤) د / محمد فؤاد سزكين ـ مجاز القرآن ١ /٢٤٧

ثم يأتي « الزمخشري » فينص صراحة على أن المحذوف هو جواب « لو » في قوله : « وجواب « لو » محذوف - أي : لرأيت أمراً فظيعاً منكراً(١) .

ويزيد « أبو حيان » على تحديد المحذوف وهو جواب « لو » النص على السر البلاغي له وهو التعظيم في قوله : « وحذف جواب « لو » جائز بليغ حذفه في مثل هذا لأنه يدل على التعظيم — أي : لرأيت أمراً عجيباً وشأناً هائلاً(٢) .

---

(١) الزمخشري : الكشاف ٢ / ١٦٣

(٢) أبو حيان : البحر المحيط ٤ / ٥٠٦ — ويحدد « الخطيب القزويني » السر البلاغي لحذف الجواب في مثل هذا بأنه : للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف ، أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن ، فلا يتصور مطلوبا أو مكروها إلا يجوز أن يكون الأمر أعظم منه ، ولو عين شيء اقتصر عليه وربما خف أمره عنده . . كقوله : « ولو ترى إذ وقفوا على النار » « ولو ترى إذ وقفوا على ربهم » « ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم » أي : لرأيت أمراً عظيما أو فظيعاً .

بغية الإيضاح ٢ / ١٤٠ ، ١٤١

حذف جواب « لما »

الاكتفاء بتحديد السر البلاغي للحذف

وفي هذه المرة نجد « الأخفش » يكتفي بتحديد السر البلاغي ، دون تحديد المحذوف ، وذلك بعبارات عرفت لدى البلاغيين من بعد وتتمثل في الاختصار لطول الكلام ، وعدم توقف فهم المعنى على ذكر المحذوف وذلك في كلامه على قول الله تعالى : (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم . . . كفروا به[1] ...) بقوله : (فإن قيل : فأين جواب : (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم) قلت : جوابه في القرآن كثير ، استغنى عنه في هذا الموضع ، إذ عرف معناه ، كذلك جميع الكلام إذا طال يجئ فيه أشياء ليست لها أجوبة في ذلك الموضع ، ويكون المعنى مستغنى به)[2]

واكتفى (الزمخشري) بعد ذلك بالتنبيه على أن جواب (لما) محذوف وتقديره : كذبوا به واستهانوا بمجيئه .[3]

---

(١) سورة البقرة : ٨٩
(٢) د / فائز فارس – معاني القرآن ١ / ١٣٦
(٣) الكشاف ١ : ص٢٩٥

حذف جواب (أما)

ويكتفي الأخفش بتحديد المحذوف بدون تبيين موقعه ، أو السر البلاغي للحذف في قوله تعالى :(فأما الذين أسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم)(١) فيقول : « فيقال لهم : أكفرتم ؟ ... وهذا في القرآن كثير (٢) .

بينما يذكر « أبو عبيدة » سر الحذف ودليله وتحديد المحذوف في قوله في في التعليق على الآية : (العرب تختصر لعلم المخاطب بما أريد به ، فكأنه خرج مخرج قولك : فأما الذين كفروا فيقول لهم : أكفرتم ، فحذف هذا واختصر الكلام »(٣)

وقد ردد (أبو حيان) هذا التعليق بنصه في قوله :(والخبر هنا محذوف للعلم به والتقدير : فيقال لهم : أكفرتم كما حذف القول في مواضع كثيرة(٤)

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٦

(٢) د / فائز فارس ١ / ٢١١

(٣) د / محمد فؤاد سزكين - مجاز القرآن ١ / ١٠٠
وقد جعل الخطيب فيما بعد (مجرد الاختصار) سرا لحذف جواب الشرط : بغية الإيضاح ٢ / ١٤٠ ، ١٤١

(٤) ونقل (أبو حيان) عدة أوجه في تحديد المحذوف مرجحا منها ماذكره (الزمخشري) فيقول : (واختلفوا في جواب : (ولما) الأولى ، فذهب الأخفش والزجاج إلى أنه محذوف لدلالة المعنى عليه واختاره الزمخشري وقدره نحو : كذبوا بمجيئه ، واستهانوا بمجيئه ، وقدره غيره : (كفروا) فحذف لدلالة (كفروا به) عليه ، والمعنى قريب في ذلك ، وذهب الفراء إلى أن الفاء في قوله : (فلما جاءهم) جواب (لما)الأولى ،(وكفروا) جواب لقوله : فلما جاءهم .

=

. . . .

وذهب المبرد إلى أن جواب « لما » الأولى هو : كفروا به ، وكرره لما طول الكلام ، ويفيد ذلك تقريراً للذنب وتأكيداً له ، وهذا القول كان يكون أحسن لولا أن الفاء تمنع من التأكيد ، وأما قول الفراء فلم يثبت من لسانهم : لما جاء زيد فلما جاء خالد وأقبل جعفر فهو تركيب مفقود في لسانهم فلا نثبته ، ولا حجة في هذا المختلف فيه ، فالأولى أن يكون الجواب محذوفاً لدلالة المعنى عليه ، وأن يكون التقدير : ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم كذبوه ويكون التكذيب حاصلا بنفس مجيء الكتاب من غير فكر فيه ولا روية ، بل بادروا إلى تكذيبه ، ثم قال تعالى : « وكانوا من قبل يستفتحون - أي يستنصرون على المشركين إذا قاتلوهم أو يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبيا يبعث قد قرب وقت بعثه فكانوا يخبرون بذلك .

أبو حيان ١ / ٣٧٣

تحديد غرضين للحذف

مجرد الاختصار ، والاكتفاء بالواحد عن الجمع أشار الاخفش إلى أن الحذف فى قوله تعالى : « عن اليمين وعن الشمال قعيد(١) » ، قد يكون لمجرد الاختصار إستغناء بالموجود عن المحذوف بقوله : « ولم يقل : عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد ، ذكر أحدهما واستغنى ، واستشهد بآية أخرى ويفيد من تعليقه عليها أن سر الحذف فيها يختلف عن السر الذى حدده وهو مجرد الاختصار ، إذ أنه إستشهد بقوله تعالى : « يخرجكم طفلا » ذاكرا(٢) أنه إستغنى بالواحد عن الجميع ، وذلك يعنى أن سر الحذف هنا غير مجرد الاختصار(٣) .

وقد كان « الفراء » المعاصر له أكثر توضيحاً إذ حدد كل واحد من الغرضين السابقين مستشهدا على كل منهما بكلام العرب وذلك فى قوله : « يقال : قعيد ولم يقل : قعيدان ، كما تحمل الرسول للقوم والاثنين قال الله تعالى: « إنا رسول رب العالمين »(٤) لموسى وأخيه ، وقال الشاعر :

ألكنى إليها ، وخير الرسو ل أعلمهم بنواحى الخبر

فجعل الرسول للجمع فهذا وجه ، وإن شئت جعلت « القعيد » واحداً إكتفى به من صاحبه ، كما قال الشاعر :

نحن بما عندنا ، وأنت بما عندك راض ، والرأى مختلف(٥)

---

(١) سورة ق : ١٧

(٢) د/فائز فاوس ٢/٤٨٣

(٣) وهو إقامة الواحد مقام الاثنين .

(٤) سورة الشعراء : ١٦

(٥) الفراء — معانى القرآن . محمد عبد الحليم النجار ٣/٧٧

فقد ذكر «الفراء» كل واحد من الغرضين للحذف فى الآية بدون تفريق بينهما كما فعل « الأخفش » .

وقد جعل «الزمخشرى» الحذف فى الآية للاختصار إستغناء بالموجود عن المحذوف(١) .

وقد أشار «أبو حيان» إلى الغرضين السابقين ، مضيفا غرضاً ثالثاً وهو إحتمال أن يكون عدل من « فاعل » إلى «فعيل» المبالغة كعليم ، لكنه رجح ما اكتفى به الزمخشرى من أن الحذف من الأول لدلالة الثانى عليه ، أى عن اليمين قعيد كما قال الشاعر :

رمانى بأمر كنت منه ووالدى بريئاً ومن أجل الطوى رمانى

على أحسن الوجهين فيه، أى كنت منه بريأ ووالدى بريأ(٢) .

---

(١) د/فائز فارس — معانى القرآن ٤/٦٤

(٢) أبو حيان : البحر المحيط ٨/١٢٣

الإطناب

التوكيد — الإجمال بعد التفصيل

لم يستعمل «الأخفش» مصطلح «الإطناب(١)» ، ولا شيئاً من وجوهه التي ذكرها البلاغيون بعد ، وما ورد له في ذلك لا يتعدى كونه إشارات أخذت طابع التقنين والتحديد بعد .

فمن هذه الإشارات جعله «عشرة كاملة»(٢) للتوكيد ، بعد قوله تعالى : «فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم» والذي يشير إلى أن العبارة من الإطناب تعليقه بقوله : «وذلك أن الكلام يؤكد بما يستغنى به عنه(٣)» واستشهاده بما جاء على منواله من آي الذكر الحكيم كقوله تعالى : «فسجد الملائكة كلهم أجمعون(٤)» وتعليقه على ذلك بقوله . «وقد يستغنى بأحدهما ولكن تكرير الكلام كأنه أوجب ، ألا ترى أنك تقول : رأيت أخويك

---

(١) وهو تأدية أصل المعنى المراد بلفظ زائد عليه لفائدة — بغية الإيضاح ٢/١٣٠

(٢) سورة البقرة ١٩٦

(٣) د/ فائز فارس ١/١٦٣

(٤) الحجر ٣٠ أورد «السيوطي» الآية المذكورة شاهداً على وجه من وجوه الإطناب عنده يعرف بالتأكيد الصناعي وقد جعله أربعة أقسام منها : التأكيد المعنوي الذي إستشهد بالآية السابقة عليه وحدد فائدته في : دفع توهم المجاز وعدم الشمول ، ونقل عن الفراء قوله : إن كلهم أفادت ذلك و«أجمعون» أفادت إجتماعهم على السجود ، وأنهم لم يسجدوا متفرقين .
السيوطي : الإتقان ٣/١٩٧

كليهما ، ولو قلت : رأيت أخويك — إستغنيت ، فتجئ بـ « كليهما » توكيداً ؟(١) .

كذلك فعل «أبو عبيدة» مبينا أن ذلك توكيد، وأن العرب تؤكد الشيء وقد فرغ منه فتعيده بلفظ غيره تفهيما وتوكيداً(٢) .

وتتحدد تلك الإشارات بعد ذلك عنـد « الزمخشرى » جاعلا ذلك التوكيد من قبيل الإجمال بعد التفصيل لزيادة العلم والفائدة بالإجمال مرة والتفصيل ثانية وذلك فى كلمة « عشرة » على حدة وكلمة « كاملة » على حدة بدون إستعمال لفظ الإطناب وملقباً له «بالفذلكة» فيقول «الزمخشرى»: ففائدة الفذلكة فى كل حساب أن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم ، وفى أمثال العرب : علمان خير من علم ، وكذلك « كاملة » تأكيد آخر ، وفيه زيادة توصيـة بصيامها وأن لا يتهـاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل إذا كان لك إهتمام بأمر تأمره به وكان منك بمنزلة : الله الله لاتقصر ، وقيل : كاملة فى وقوعها بدلا من الهدى(٣) .

وقد قسم الخطيب « القزوينى » الإطناب إلى عدة وجـوه(٤) ، وبعد أن فرغ من سردها بين أن الاطناب قد يكون بغيرها كالآية المذكورة مردداً

---

(١) د/فائز فارس ١٦٣/١
(٢) د/ محمد فؤاد سزكين ٧٠/١ مجاز القرآن .
(٣) الكشاف ٣٤٥/١
(٤) منها: الإيضاح بعد الإبهام، والتوشيع ، وذكر الخاص بعد العام، والتكرير . والإيغال . والتذييل ، والتكميل — والتتميم — والاعتراض — من ص١٥٠ - ١٦٨ بغية الايضاح جـ٢

كلام « الزمخشري » بنصه ومضيفا إليه تفسيراً آخر وهو أن التأكيد للكيفية لا للكمية ، حتى لو وقع صوم العشرة على غير الوجه المذكور(١) لم تكن كاملة(٢) .

وقد روى « أبو حيان » عدة أوجه عن عدد من العلماء لكل من : « عشرة » و « كاملة » .

ففى الكلام على « عشرة » ذكر أن أبا الحسن على بن أحمد البانش يرى أنه أتى بعشرة توطئة للخبر بعدها لا أنها هى الخبر المستقل به فائدة الاسناد لجيء بها للتوكيد كما تقول : زيد رجل صالح — وقد رجح هذا الرأى(٣) .

وذكر رأياً ثانياً لابن « عرفة » مماثلا لرأى الزمخشرى السابق وقد نقل كلام الزمخشرى ، كما ذكر ماقاله « ابن عرفة » فى التعليل لرأيه بأن العرب تفعل ذلك لقلة معرفتهم بالحساب ، كقول النابغة :

توهمت آيات لها فعرفتها لستة أعوام وذا العام سابع

وقول الأعشى :

ثلاث بالغداة فهى حسبى وست حين يدركنى العشاء
فذلك تسعة فى اليوم ربى وشرب المرء فوق الرى داء

---

(١) وهو أن يكون ثلاثة منها فى الحج وسبعة عند الرجوع إلى الأهل .

(٢) أى شرحاً وإن كانت كاملة عدداً ـ بغية الايضاح ١٦٨/٢

(٣) أبو حيان ٧٩/٢

وذكر رأيا ثالثا « للمعضل » بأنه لما فصل بينهما بإفطار قيدها بالعشرة ليعلم أنها كالمتصلة فى الأجر .

ورأيا رابعاً للزجاج بأنه : جمع العددين لجواز أن يظن أن عليه ثلاثة أو سبعة لأن الواو قد تقوم مقام أو . . فأزال احتمال التخيير . . وذكر « أبو حيان » أن هذا القول جار على مذهب أهل الكوفة لا على مذهب البصريين لأن الواو لا تكون بمعنى أو .(١)

ونقل عن أبى العباس المبرد أن فى الكلام تقديما وتأخيراً تقديره : فتلك عشرة ثلاثة فى الحج وسبعة إذا رجعتم ولم يرتض هذا القول .

وقيل : ذكر العشرة لئلا يتوهم أن السبعة مع الثلاثة كقوله تعالى : « وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام »(٢) أى مع اليومين اللذين بعدهما فى قوله : « خلق الأرض فى يومين » .

وقيل : ذكر العشرة لزوال توهم أن السبعة لا يراد بها العدد بل الكثرة . . .

وقيل : أتى بعشرة لئلا يتوهم أن الكمال مختص بالثلاثة المضمومة فى الحج أو بالسبعة التى يصومها إذا رجع ، والعشرة هى الموصوفة بالكمال(٣) .

كما ذكر عدة وجوه فى ذكر « كاملة » منها : أنها كاملة فى الثواب فى سدها مسد الهدى فى المعنى الذى جعلت بدلا عنه .

---

(١) أبو حيان : ٢/٨٠

(٢) سورة فصلت : ١٠

(٣) أبو حيان : البحر المحيط ٢/٨٠

وقيل : كاملة في الغرض والترتيب ولو صامها على غير هذا الترتيب لم تكن كاملة ، وقيل : كاملة في الثواب لمن لم يتمتع ، وقيل : كاملة توكيد كما تقول : كتبته بيدي — « فخر عليهم السقف من فوقهم »(١) .

وهكذا ترى أن الرأي الذي رجحه « أبو حيان » في العبارة السابقة « عشرة كاملة » ، وأنها للتوكيد « كان أحد الآراء التي مال إليها بعض اللغويين ، والتي جاءت كإشارة عابرة في كلام الأخفش .

أما أفضل التعليلات وأدقها لمعرفة سر هذا التوكيد فإنه ما ذكره الزمخشري من تكرار العلم بالتفصيل مرة والإجمال ثانية(٢) .

---

(١) المرجع السابق . سورة النحل : ٢٦

(٢) وقد أورد « السيوطي » العبارة « عشرة كاملة » ضمن حديثه عن الإطناب تحت وجه : الإجمال بعد التفصيل ، وبعد أن علق عليها بأحد الوجوه السابقة ، وهو أن إعادة ذكر « العشرة » لرفع توهم أن الواو في « سبعة » بمعنى « أو » فتكون الثلاثة داخلة فيها . . . ذكر أن الكرماني أجاب بثماني إجابات :

اثنان من التفسير ، وجواب من الفقه ، وجواب من النحو ، وجواب من اللغة ، وجواب من المعنى ، وجوابان من الحساب . الإتقان ٣/٢١٤ ، ٢١٥

التكرير

وذكر البلاغيون بعد « التكرير » ضمن أنواع الإطناب لعدة أسرار ، وقد ورد ذكر « التكرير » فى تفسيره لتكرير « رأيت » فى قول الله تعالى : « إنى رأيت أحد عشر كوكبا ... رأيتهم لى ساجدين »(١).

وذلك فى قوله : « فكرر الفعل ، وقد يستغنى بأحدهما ، وهذا على لغة الذين قالوا : ضربت زيدا ضربته ، وهو توكيد مثل : « فسجد الملائكة كلهم أجمعون »(٢) .

ورأى « الزمخشرى » بعد ذلك أن ما فى الآية ليس تكرارا وأنه كلام مستأنف وقع جوابا له كأن يعقوب عليه السلام قال له عند قوله : « إنى رأيت أحد عشر كوكبا — كيف رأيتها ؟ سائلا عن حال رؤيتها ، فقال « رأيتهم لى ساجدين »(٣) .

بينما ذكر « ابن المنير » فى حاشيته على الكشاف أن الأحسن من ذلك أن يكون تكريرا لطول الفصل بين الفعل والحال(٤) .

وقد جمع « أبو حيان » بين رأى الأخفش وابن المنير بأن تكرير

---

(١) سورة يوسف : ٤

(٢) الحجر : ٣٠ -- د/فائز فارس ٣٦١/٢

(٣) الكشاف ٣٠٢/٢

(٤) الكشاف ٣٠١/٢

« وأيتهم » على سبيل التوكيد لطول الفصل بين الفعل والحال وحسناً فعل(١) .

(١) أبو حيان : ٥/٢٨٠ — وكذلك أورد السيوطى ضمن الإطناب — التكرير — وحدد سر التكرير فيها بطول الكلام وخوفا من تناسى الأول أعيد المكرر ثانياً تطرية له وتجديدا لعهده ، وقد مثل بالآية المذكورة وبآية أخرى وهى : « ثم إن ربك الذين عملوا السوء بجهالة . . . إن ربك من بعدها لغفور رحيم » سورة النحل : ١١٠ ٣/١٩٩ ، ٢٠٠ — الإتقان للسيوطى .

الفصل الثالث

علم البيان

لم يرد لفظ « البيان » فى إشارات « الأخفش » كما لم يرد لفظ « المعانى» ولا لفظ « البديع » إذ أن تلك المصطلحات لم تعرف إلا بعد ذلك .

وقد تتبعنا ماورد له من إشارات حول موضوعات علم البيان فوجدنا من هذه الإشارات ماعرف بعد بالمجاز العقلى(١) .

ومن شروط المجاز عموماً وجود علاقة بين الفاعل الحقيقى والفاعل المجازى — وعلاقات المجاز العقلى كما ذكرها الخطيب تتمثل فى : الفاعلية، والمفعولية ، والمصدرية ، والزمانية ، والمكانية ، والسببية(٢) .

---

(١) وقد عرفه « عبد القاهر » بأنه : التجوز فى حكم يجرى على الكلمة فقط وتكون الكلمة متروكة على ظاهرها ، ويكون معناها مقصوداً فى نفسه ومرادا من غير تورية ولا تعريض كقولهم : نهارك صائم وليلك قائم ، ونام ليلى ، وتجلى همى .

دلائل الإعجاز ص ١٠٠ ط ثانية التجارية تحقيق : أحمد مصطفى المراغى .

(٢) بغية الإيضاح — عبد المتعال الصعيدى ط سادسة مكتبة الآداب ٥٦/١ — وقد سمى المجاز العقلى بهذا الاسم لاستناده إلى العقل دون الوضع ، لأن إسناد الكلمة إلى الكلمة شئ يحصل بقصد المتكلم دون واضع اللغة . ٥٩/١

كذلك لم يذكر « الأخفش » شيئاً عن هذه العلاقات، ولكنا استطعنا تحديد المجاز وعلاقته من خلال إشاراته الموجزة الواضحة المؤيدة بكلام العرب نثره ونظمه ، فمن إشاراته حول المجاز العقلي لعلاقة المفعولية قوله في : « ... حجاباً مستوراً »(١) وتفسيره لوصف الحجاب بكونه « مستوراً » بينما هو « ساتر » « إن الفاعل قد يكون في لفظ المفعول ، كما تقول : إنك مشئوم علينا وميمون ، وإنما هو : شائم ويامن ، لأنه من: شأمهم ويمنهم ، والحجاب هاهنا : هو الساتر ، وقال : مستوراً »(٢) .

فمن الإشارات البلاغية السابقة للأخفش نوضح ماقاله البلاغيون بعد ذلك من أن « مستوراً » أسند إلى ضمير حجاب والحجاب « ساتر » لامستور وذلك لعلاقة المفعولية(٣) .

---

(١) سورة الإسراء : ٤٥

(٢) د/ فائز فارس ٢/ ٣٩١

(٣) ذهب بعض العلماء إلى أن « مستوراً » على ظاهره أي لا مجاز فيه وذلك على تقدير مضاف أي : ذو ستر — بمعنى : أنه مستور عن أعين الكفار فلا يرونه أو مستور به الرسول عن رؤيتهم ونسب الستر إليه لما كان مستوراً به — وينسب ذلك إلى الزمخشري والمبرد . الكشاف ٢/ ٤٥١ وأبو حيان : ٦/ ٤٢ — هذا ويجعل « السيوطي » ذلك من وقوع « مفعول » موقع « فاعل » للمناسبة . الإتقان ٣٠٠

السببية :

وهى من علاقات المجاز العقلى حيث يعدل عن إسناد الفعل إلى فاعله الحقيقى إلى سببه لماله من أثر كبير فى تحقيق الفعل وإحداثه ، ونفهم ذلك من استشهاد الأخفش بكلام العرب على وجه نفى الرمى عن الرسول عليه السلام وإثباته لله فى قوله تعالى : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى »(١) بقوله : « تقول العرب : ضربه الأمير ، والأمير لم يل ضربه ، ومثل هذا فى كلام العرب كثير »(٢) .

وقد زاد « الزمخشرى » الأمر توضيحاً بعد ذلك بقوله : « يعنى أن الرمية التى رميتها لم ترمها أنت على الحقيقة . لأنك لو رميتها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمى البشر ، ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم ، فأثبت الرمية لرسول الله ﷺ لأن صورتها وجدت منه ، ونفاها عنه ، لأن أثرها الذى لا يطيقه البشر فعل الله عز وجل فكأن الله هو فاعل الرمية على الحقيقة ، وكأنها لم توجد من الرسول عليه الصلاة والسلام أصلا »(٣) .

ومن إشارات « الأخفش » حول المجاز العقلى لعلاقة السببية « تعليقه على قول الله : « فما ربحت تجارتهم »(٤) .

---

(١) سورة الأنفال : ١٧

(٢) د / فائز فارس — معانى القرآن .

(٣) الكشاف ٢/١٤٩ ، ١٥٠

(٤) سورة البقرة : ١٦

بما يفيدنا من خلال الآيات والشواهد التي ساقها على أنه لم تكن هناك فروق محددة بين المجاز العقلي والمجاز المرسل والمجاز بالحذف والتشبيه وأن هذه الفروق قد تحددت بعد .

أما في عصر الأخفش فكانت عنايتهم موجهة أصلا إلى تفسير التعبير القرآني وتوضيح المراد منه بقياسه على كلام العرب ولنستمع لتعليقه ليتأكد لنا ذلك « فما ربحت تجارتهم » « فهذا على قول العرب : خاب سعيك وإنما هو الذي خاب ، وإنما يريد : فما ربحوا في تجارتهم ، ومثله : « بل مكر الليل والنهار »(١) ، « ولكن البر من آمن بالله » (٢) .

إنما هو : « ولكن البر بر من آمن بالله . . . . ومثله : أكثر شربي الماء ، وأكثر أكلي الخبز ، وليس أكلك بالخبز ولا شربك بالماء ، ولكن تريد : أكثر أكلي أكل الخبز ، وأكثر شربي شرب الماء . قال : « واسأل القرية يريد(٣) : أهل القرية » (والعير) أي : واسأل أصحاب العير — وقال : « ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق »(٤) « فإنما هو والله أعلم : مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به — لحذف هذا الكلام ، ودل ما بقى على معناه ، ومثل هذا في القرآن كثير .

وقد قال بعضهم : « ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق » يقول : مثلهم في دعائهم الآلهة كمثل الذي ينعق بالغنم ، لأن آلهتهم لا تسمع ولا تعقل كما لا تسمع الغنم ولا تعقل »(٥) .

---

(١) سورة سبأ : ٣٣ .
(٢) سورة البقرة : ١٧٧ .
(٣) سورة يوسف : ٨٢ .
(٤) سورة البقرة : ١٧٢
(٥) د . فائز فارس — معاني القرآن ٤٧/١

فنرى كيف تجمع تعليقاته السابقة بين : المجاز العقلي والمرسل والمجاز بالحذف والتشبيه إذ لم يتحدد كل منها إلا بعد ذلك ، ولهذا نجد فرقا كبيراً بين تعليقه الذي يحدد كونها من المجاز العقلي لعلاقة السببية « وإنما يريد : « فما ربحوا فى تجارتهم » وبين تفصيل « الزمخشري » بعد ذلك بقوله : «فإن قلت : كيف أسند الخسران إلى التجارة وهو لأصحابها ؟

قلت : هو من الإسناد المجازي ، وهو أن يسند الفعل إلى شيء يتلبس بالذي هو فى الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين »(١) .

كما نجد فرقا كبيراً بين تسوية « الأخفش » بين المجاز العقلي والمجاز المرسل والمجاز بالحذف والتشبيه وبين ما فعله « عبد القاهر » بعد ذلك من رفضه بشدة أن يكون المجاز العقلي من قبيل ما حذف منه المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه مثل « واسأل القرية » لما يترتب على ذلك من تغيير المعنى ونقض الغرض والمقصود من الكلام(٢) .

---

(١) الكشاف ١/١٩١

(٢) عبد القاهر ـ دلائل الإعجاز ص : ٢٠٥ ، ٢٠٦

الزمانية والمكانية

ومن علاقات المجاز العقلي : الزمانية ، وهو أن يعدل عن إسناد الفعل إلى فاعله الحقيقي إلى الزمان الذي يقع فيه الفعل ، أي يجعل الزمان فاعلا للفعل والعلاقة واضحة بين الزمان والفعل لأن كل فعل لابد له من زمان يقع فيه كقولهم : صام نهارك ، وقام ليلك ، وإشارات « الأخفش » عن المجاز العقلي لعلاقة الزمانية وردت في تعليقه على قوله تعالى : « بل مكر الليل والنهار[١] » أي هذا مكر الليل والنهار ، والليل والنهار لا يمكران بأحد ولكن يمكر فيهما ، كقوله : « من قريتك التي أخرجتك » سورة محمد : ١٣ وهذا من سعة العربية[٢] .

وتعليق « الأخفش » من الوضوح بمكان ، ونرى أنه قد استشهد بالآية السابقة بإسناد الإخراج إلى القرية ، إنما هو لأهلها لأن القرية مكان لهم وتعرف تلك العلاقة بالمكانية .

وقريب منه ما ذكره « الفراء » في تعليقه على الآية السابقة بما تقوله العرب قائلا : « المكر ليس لليل ولا للنهار ، إنما المعنى : بل مكركم بالليل والنهار .

---

(١) سورة سبأ : ص ٣٣

(٢) د / فائز فارس ٢/٤٤٥ .

ما في الآية الكريمة التي استشهد بها « من قريتك التي أخرجتك » واضح أنه من قبيل المجاز المرسل لعلاقة المحلية ، وذلك كما ذكرنا من قبل : إن التفرقة بين هذه الأنواع لم تحدث إلا بعد ذلك .

وقد يجوز أن تضيف الفعل إلى الليل والنهار ويكونا كالفاعلين ، لأن العرب تقول : نهارك صائم ، وليلك قائم ، ثم تضيف الفعل إلى الليل والنهار وهو فى المعنى للآدميين ، كما تقول : نام ليلك ، وعزم الأمر ، إنما عزمه القوم ، فهذا مما يعرف معناه فتتسع به العرب[1] .

فيلتقى « الفراء » مع « الأخفش » فى توضيح أصل التعبير مؤكدين كلامهما بأساليب العرب فى ذلك .

أما توضيح السر البلاغى لهذا التعبير وإسناد الفعل إلى زمانه ومكانه فلم يكن وجد آنذاك ، وإنما نقع عليه بعد ذلك عند الشريف الرضى الذى وضح سر ذلك فى المبالغة فى استمرار مكرهم وأنه لم ينقطع فى الليل أو فى النهار وذلك بقوله : « والمراد بمكر الليل والنهار ما وقع من مكرهم فى الليل والنهار ، فأضاف تعالى المكر إليهما لوقوعه فيهما .

وفيه أيضاً زيادة فائدة ، وهى : دلالة الكلام على أن مكرهم كان متصلا غير منقطع فى الليل والنهار كما يقول القائل : مازال بنا سير الليل والنهار حتى وردنا أرض بنى فلان » وهذا دليل على اتصال سيرهم فى الليل والنهار من غير إغباب ولا إراحة ركاب »[2] .

---

(١) الفراء — معانى القرآن ٣٦٣/٢ ت محمد على النجار .

(٢) الشريف الرضى : تلخيص البيان فى مجازات القرآن ص : ١٩٤ .

علاقة المصدرية :

وهو أن يسند الفعل إلى مصدره، والعلاقة واضحة بين الفعل والمصدر، كقول الشاعر :

سيذكرني قومي إذا جد جدهم
وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر (١)

ومن إشارات « الأخفش » لتلك العلاقة قوله في التعليق على قوله تعالى : « . . . بدم كذب (٢) » جعل الدم كذبا لأنه كذب فيه . . كما قال : « فما ربحت تجارتهم البقرة : ١٦ (٣) .

أما الفراء فيرى أن المصدر هنا بمعنى اسم المفعول كما يرد كذلك في كثير من كلام العرب فيقول : « .. بدم كذب » معناه : بمكذوب ، والعرب تقول للكذب : مكذوب ، وللضعيف مضعوف ، وليس له عقد رأى ، ومعقود رأى ، فيجعلون المصدر في كثير من الكلام مفعولا . . . ومعنى قوله : « بدم كذب » أنهم قالوا ليعقوب : أكله الذئب وقد غمسوا قميصه في دم جدى ، فقال :

لقـــد كان هذا الذئب رفيقا بابني ، مزق جلده ولم يخرق ثيابه قال :

---

(١) والأصل في ذلك : وجد صاحب جدهم ، والعلاقة فيه : الملابسة بالمصدرية . بغية الإيضاح ١/٥٧ .
(٢) سورة يوسف : ١٨ .
(٣) د . فائز فارس : ٢/٣٦٤

وقالوا : اللصوص قتلوه ، قال . فلم تركوا قميصه ! وإنما يريدون الثياب ، فلذلك قيل : « بدم كذب » (١) .

وقد حمل الزمخشرى ذلك إما : على حذف مضاف، أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه (٢) .

---

(١) الفراء : معانى القرآن ٢/٣٨ تحقيق / محمد على النجار — الدار المصرية للتأليف والترجمة .

(٢) الكشاف ٢/٣٠٨ — والزمخشرى متأثر فى ذلك بالشريف الرضى الذى فسر المبالغة بقوله : « وإنما وصف الدم بالمصدر الذى هو الكذب على طريق المبالغة ، لأن الدعوى التى علقت بذلك الدم كانت غاية فى الكذب » الشريف الرضى ص : ٨٣ .

المجاز اللغوى

(أ) المجاز المرسل :

قسم علماء البلاغة المجاز قسمين : مجازا عقليا أوحكميا كما سبق وهو ما كان التجوز فيه فى الاسناد إسناد الفعل أو ما فى معناه إلى غير ما حقه أن يسند إليه كالسبب والمصدر والزمان والمكان لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقى ، وقد يكون طرفا المجاز العقلى : حقيقيين أو مجازيين أو أحدهما حقيقيا والآخر مجازيا .

والنوع الثانى من المجاز هو المجاز اللغوى الذى يكون التجوز فيه فى الألفاظ ذاتها بأن تستعمل فى غير المعنى الذى وضعت له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقى(١) ، فإن كانت العلاقة المشابهة كان المجاز اللغوى : استعارة ، وإن كانت غير المشابهة : كالسببية والمكانية والجزئية والآلية والحالية والمحلية كان مجازاً مرسلا .

---

(١) ويحدد « عبد القاهر » الفرق بين المجازين : اللغوى والعقلى بأن اللغوى : أن تذكر الكلمة وأنت لا تريد معناها بل ما هو ردف له أو شبيه به فيكون التجوز فى ذات الكلمة وفى اللفظ نفسه .

أما العقلى فيتحقق بأن يكون التجوز فى حكم يجرى على الكلمة فقط ، وتكون الكلمة متروكة على ظاهرها . ويكون معناها مقصوداً فى نفسه ومراداً من غير تورية ولا تعريض .

عبد القاهر : دلائل الإعجاز ص : ٢٠٠ ط ثانية التجارية تحقيق : أحمد مصطفى المراغى :

وقد رأينا فيما سبق أن « الأخفش » وردت له إشارات يساوى فيها بين المجاز العقلى والمجاز المرسل مما يؤكد لنا أن التفرقة بينهما لم تتم إلا بعد ذلك، كما رأينا له إشارات وشواهد خاصة بالمجاز المرسل وعلاقاته المعروفة لدى البلاغيين . منها :

علاقة الكلية »(١) :

فمن إشاراته عن المجاز المرسل لعلاقة الكلية قوله تعليقا على قوله تعالى : « وجعل القمر فيهن نورا . »(٢) » ـ « وإنما هو والله أعلم على كلام العرب ، وإنما القمر فى السماء الدنيا فيما ذكر ، كما تقول : أتيت بنى تميم ، وإنما أتيت بعضهم »(٣) .

فتعين الإشارة السابقة والاستشهاد عليها بكلام العرب أنه من المجاز المرسل لعلاقة الكلية ، وقد استخدم « الزمخشرى » فيما بعد ذلك بقرون نفس التفسير بدون أن يحدد كذلك نوع المجاز أو علاقته فى قوله : «فيهن» فى السموات وهو فى السماء الدنيا ، لأن بين السموات ملابسه من حيث إنها طباق ، جاز أن يقال : فيهن كذا وإن لم يكن فى جميعهن ، كما يقال : فى المدينة كذا وهو فى بعض نواحيها »(٤) .

(١) « وهى : أن يطلق الكل ويراد الجزء .

(٢) سورة نوح : ١٦

(٣) د/فائز فارس ٢/٥٠٩

(٤) الكشاف ٤/١٦٢

علاقة الآلية (١) :

أشار إليها بتعليقه على قوله تعالى: «... وجعلنا لهم لسان صدق عليا»(٢) بقوله : «كما تقول : لساننا غير لسانكم ، أى لغتنا غير لغتكم وإن شئت جعلت اللسان مقالهم ، كما تقول : فلان لساننا» (٣) .

وقد زاد «الزمخشرى» فيما بعد توضيح تلك الإشارات فقال : «لسان الصدق» الثناء الحسن ، وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهى العطية ، قال :

إنى أتتنى لسان لا أسر بها .

يريد : الرسالة «ولسان العرب : لغتهم وكلامهم — استجاب الله دعوته «واجعل لى لسان صدق فى الآخرين (٤)» فصيره قدوة حتى ادعاه أهل الأديان كلهم . . . وأعطى ذلك ذريته فأعلى ذكرهم وأثنى عليهم كما أعلى ذكره وأثنى عليه»(٥) .

أما سر التعبير باللسان عن اللغة فقد وضحه «الشريف الرضى» بأن العرب تقول : جاءنى لسان فلان — تريد : مدحه أو ذمه ، فلما كان مصدر المدح والذم عن اللسان عبروا عنها باسم اللسان — وإنما قال سبحانه :

---

(١) وهى أن يسمى الشيء باسم الآلة التى يؤدى بها .
(٢) سورة مريم : ٥٠ .
(٣) د / فائز فارس ٢/٤٠٣
(٤) سورة الشعراء : ٨٤
(٥) الكشاف ٢/٥١٢

(لسان صدق) إضافة اللسان إلى أفضل حالاته وأشرف متصرفاته ، لأن أفضل أحوال اللسان أن يخبر صدقاً أو يقول حقاً .

علاقة المحلية :

وهى أن يطلق المحل ويراد القوم الذين يحلون به ، ومن إشاراته الأخفش الدالة على هذه العلاقة تعليقه على قوله تعالى : « فليدع ناديه »(١) بقوله : « ناديه » هاهنا : عشيرته وإنما هم أهل النادى ، والنادى : مكانه ومجلسه(٢)

وكذلك قال أبو عبيدة « فليدع ناديه » أهل مجلسه(٣)

وقال الفراء : « فليدع ناديه » قومه . والعرب تقول : النادى يشهدون عليك ، والمجلس — أى يحلون : النادى والمجلس والمشهد : قوم الرجل قال ذو الرمة :

لهم مجلس صهب السبال أذلة
سواسية أحرارها وعبيدها(٤)

---

(١) سورة العلق : ١٧
(٢) د / فائز فارس ٢ / ٥٤١
(٣) د / محمد فؤاد سزكين ـ مجاز القرآن ٢ / ٣٠٤
(٤) صهب : جمع أصهب : أحمر — والسبال : الشعر الذى عن يمين الشفة العليا وشمالها — الفراء — معانى القرآن ٣ / ٢٧٩ — تحقيق د / عبد الفتاح شلبى — مراجعة : على النجدى الناصف الهيئة العامة للكتاب .

وقال الزمخشري : النادي : المجلس الذي ينتدي فيه القوم أي يجتمعون والمراد أهل النادي ـ واستشهد بما استشهد به الفراء(١)

أما الخطيب القزويني فقد مثل بالآية السابقة على تسمية الحال باسم محله لعلاقة المحلية(٢) .

علاقة اعتبار ما كان ومايكون :

ومن علاقات المجاز المرسل : اعتبار ما كان أي : تسمية الشيء باسم ما كان عليه كقوله تعالى : « وآتوا اليتامى أموالهم ...»(٣)

أي الذين كانوا يتامى إذ لايتم بعد البلوغ ، أو باسم مايؤول إليه كقوله سبحانه : « إني أراني أعصر خمرا(٤)» أي عنبا يؤول بعد عصيره إلى خمر إذ الخمر لا يعصر(٥)

وقد أشار الأخفش إلى هاتين العلاقتين : اعتبار ما كان وما سيكون بما استشهد به من كلام العرب على قوله تعالى : « وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم »(٦) بقوله . « فإنما يقول : وكنتم ترابا ونطفا » فذلك

---

(١) الكشاف ٤ / ٢٧٢

(٢) بغية الإيضاح ٣ / ١٠٠

(٣) سورة النساء : ٢

(٤) سورة يوسف : ٣٦

(٥) بغية الإيضاح ٣ / ٩٩

(٦) سورة البقرة : ٢٨

ميت ، وهو سائغ في كلام العرب ، تقول للثوب : قد كان هذا قطناً ، وكان هذا الرطب بسراً(١) ، ومثل ذلك قولك للرجل : احمل هذا الثوب وإنما معك غزل(٢)

---

(١) اعتبار ما كان .

(٢) اعتبار مايكون ـ د/ فائز فارس ١ / ٥٤

الاستعارة

لم يستعمل « الأخفش » مصطلح الإستعارة ، فقط رأيناه يستشهد بشواهد من القرآن أو من كلام العرب تدخل تحت الاستعارة ، من هذه الشواهد شواهد مثل بها البلاغيون فيما بعد على الإستعارة التبعية فى الحرف وذلك فى قوله تعالى : « فأثابكم غماً بغم ...(١) حيث قال فى التعليق عليها : « أى على غم كما قال: فى جذوع النخل.. (٢) ومعناه على جذوع النخل—وكما قال: ضربنى فى السيف ، يريد « بالسيف » وتقول : نزلت فى أبيك — أى : على أبيك(٣) .

ومن ذلك أيضاً قوله فى التعليق على قوله تعالى : « ربنا ليضلوا عن سبيلك .....(٤) » أى : فضلوا ، كما قال : « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم

---

(١) سورة آل عمران : ١٥٣

(٢) سورة طه : ٧١

(٣) د/ فائز فارس — معانى القرآن ٢١٨/١ — فقد استشهد البلاغيون المتأخرون بقوله تعالى : « ولأصلبنكم فى جذوع النخل...» على الإستعارة التبعية فى الحرف ، وقالوا فى إجرائها :

شبهت الجذوع المستعلى عليها بالظروف الحقيقية بجامع التمكن فى كل منهما ، وتبعا لهذا التشبيه استعيرت « فى » من معناها الحقيقى ، وهو اللبس الظرف بالظروف الحقيقين : لتلبس الجذوع المستعلى عليها بالمستعلى على طريق الإستعارة التصريحية التبعية ، والقرينة ، هى : دخول «فى» على الجذوع . د/ أحمد موسى— البلاغة التطبيقية ص : ١٣٨، ٣٩ ط أولى ١٩٦٣ مطبعة المعرفة .

(٤) يونس ٨٨

عدوا وحزناً » القصص : ٨ — أى : فكان ، وهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزناً ، وإنما لقطوه ، فكأن هذه اللام تجىء فى هذا المعنى(١) .

الإستعارة التبعية التهكمية :

أشار « الأخفش » فى عبارة له إلى ماعرف بعد بالإستعارة التهكمية ، وإن كان لم يشر إلى هذه التسمية فإنه أشار إلى أن ذلك من المجاز ، ومعلوم أن الإستعارة مجاز لغوى وذلك يدلنا على أن المجاز بمعناه الاصطلاحى كان معروفا منذ ذلك الوقت المبكر ، وإن كان « أبو عبيدة » لم يرد به معناه الإصطلاحى عندما أطلقه على كتابه « مجاز القرآن » .

---

(١) د/ فائز فارس ٢/٢٣٧ — فقد استشهد البلاغيون بقوله تعالى : « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا .... على الإستعارة التبعية فى اللام التى استعملت فى غير معناها الحقيقى وهو التعليل وقالوا فى إجرائها: شبهت العداوه والحزن المترتبان على الالتقاط فى الواقع : بالعلة الحقيقية التى هى المحبة والسرور ، بجامع مطلق ترتب شىء على شىء ، وتبعا لهذا التشبيه : على الإلتقاط: لترتب غير العلة الحقيقية عليه على سبيل الإستعارة استعيرت « اللام » من معناها الحقيقى وهو ترتب العلة الحقيقية التصريحية التبعية ، والقرينة هى : دخول اللام على العداوة والحزن . البلاغة التطبيقية صـ ١٣٨

وقال بعضهم إن اللام فى « ليضلوا » هى لام كى على معنى آتيتهم ما آتيتهم على سبيل الإستدراج فكان الإتيان لكى يضلوا ، وذهب الزمخشرى إلى أنها دعاء بلفظ الأمر كقوله « ربنا اطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم ... » وقيل : لا محذوفة والتقدير : لئلا يضلوا عن سبيلك الكشاف ٢/٢٥٠ ، والبحر المحيط ٥/١٨٠/١٧٨

وقد رأينا إشارة «الأخفش» فى تعليقه على قوله تعالى :

« ذوقوا مس سقر(١) » — بقوله : «جعل المس يذاق فى جواز الكلام » ويقال : كيف وجدت طعم الضرب ؟ وهذا مجاز(٢)» :

وقد وضح « الزمخشرى » بعد ذلك المعنى المراد من الآية بقوله : « ذق إنك أنت العزيز الكريم الدخان:٤٩ على سبيل الهزء والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه(٣)» .

ولقب البلاغيون ذلك النوع من المجاز على سبيل الإستعارة بالإستعارة العنادية التهكمية والتمليحية حيث يستعمل اللفظ فيها فى ضد معناه أونقيضه بتنزيل التضاد أو التناقض منزلة التناسب بواسطة تهكم أو تمليح ومثلوا لها بقوله تعالى : « فبشرهم بعذاب أليم » لقمان : ٧(٤) .

---

(١) سورة القمر : ٤٨

(٢) د/ فائز فارس ٤٨٩/٣

(٣) الكشاف ٥٠٧/٣ وقد قيل فى سبب نزولها : إنه لما نزلت : « إن شجرة الزقوم ، طعام الأثيم » قال أبو جهل : أتهددنى يا محمد وان ما بين لابتيها أعز منى ولا أكرم ، فنزلت هذه الآية ، وفى آخرها : « ذق إنك أنك العزيز الكريم — أى على قولك — أبو حيان ٤٠/٨

(٤) وقالوا فى إجرائها. استعيرت البشارة وهى الإخبار بما يسر للإنذار وهو ضدها بإدخاله فى جنسها على سبيل التهكم ، ثم اشتق من البشارة « بشر » بمعنى : أنذر على سبيل الإستعارة التصريحية التبعية التهكمية بغية الإيضاح ١٢٢/٣

وكان الشريف الرضى من قبل ذكر فى تعليقه على الآية وجهين لتفسير الاستعارة فيها : الوجه الأول : علاقة المشابهة بين التوهم والإنذار فى =

وقد اخترنا لفظ «إشارات» أو «لمحات» على ماأورده للأخفش من كلام يتعلق بالبلاغة توضيحا إلى أنه لم يستقص بكلامه ماتشتمل عليه الآيات من بلاغة ، فقط كان كلامه عن الأسرار البلاغية لبعض الآيات وليس كلها إشارات سريعـــة وليس استقصاء ولا تفصيلا ولذلك تراه يمر على كثير من الآيات التى يظهر ما فيها من مجاز بدون الوقوف عندها كما فعل مع قوله تعالى : «ولما سكت عن موسى الغضب . . (١)» حيث لم يعلق عليها بأكثر من أن هناك قراءة عن معاوية بن قرة (سكن) وكل من كلام العرب(٢) .

= كون كل منهما تبليغا بشيء خيرا فى البشارة وشرا فى الإنذار ، والوجه الثانى : أن إطلاق التبشير على الإنذار لكون كل منهما : التبشير والإنذار يظهر أثره على البشرة وفى ذلك من البعد مالا يخفى ، فيقول الشريف الرضى: «فبشره بعذاب اليم » لقمان : ٧ — وهذه استعارة ، لأن البشارة فى العرف إنما تكون بالخير والسعادة والمسرة لا بالضر والمضرة لكن إبلاغهم الوعيد بالعقاب لما كان كابلاغهم الوعد بالثواب فى تقدم الخبر به جاز أن يسمى لهذه العلة باسمه ، وكان أبو العباس المبرد يذهب بذلك مذهبا حسنا فيقول : إن لفظ (البشارة) مأخوذ من البشرة فكأن المخبر لغيره بخبر النفع والخبر أو خبر الضر والضير يلقى فى قلبه من كلا الأمرين مايظهر تأثيره فى بشرة وجهه ، فإن كان خيراً ظهرت تباشير المسرة ، وإن كان شرا ظهرت فيه علامات المساءة فحسن على هذا المعنى أن تستعمل البشارة فى الشر والضر كما تستعمل فى النفع والخير تلخيص البيان ص : ١٨٥

(١) سورة الأعراف : ١٥٤ .
(٢) د / فائز فارس ـ معانى القرآن .

الكناية

لم يستعمل « الأخفش » لقب الكناية ، وإشاراته إلى ما عرف أخيراً باسم الكناية تتمثل فى تعليقاته على بعض الآيات ، وفيما ساقه عليها من كلام العرب ، من ذلك وما يدخل تحت الكناية عن صفة تعليقه على قول الله « وإذا قيل لهم ... لووا رءوسهم(١) » بقوله : لأن كلام العرب إذا كان فى السخرى أوفى التكثير قيل : لوى لسانه ورأسه »(٢) .

وهو لا يختلف فى ذلك عما ذكره الفراء فى تفسيره لها « لووا رءوسهم بقوله : « حركوها استهزاء بالنبى ﷺ ودعائه »(٣) .

ولم يزد الزمخشرى « فى تفسيره لها على ما سبق حيث يقول : « لووا رءوسهم » عطفوها وأمالوها إعراضاً عن ذلك واستكبار (٤) .

وقد فسر « الأخفش » بعض الآيات التى جعلها البلاغيون من شواهد الكناية تفسيراً يجعل ما فيها من المجاز المرسل وذلك كما قلنا من قبل لعدم معرفة تلك التقسيمات آنذاك كقوله فى تفسير « القبضة واليمين » « بالقدرة » فى قوله تعالى : « والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه . »(٥) الزمر : بقوله : « فى قدرته ، نحو قوله : « وما ملكت أيمانكم » النساء : ٣٦ — أى : وما كانت لكم عليه قدرة ، وليس الملك

---

(١) سورة المنافقون : ٥

(٢) د/ فائز فارس — معانى القرآن ٢/٥٠١

(٣) الفراء : معانى القرآن ٣/١٠٩

(٤) الكشاف : ٤/١١٠

(٥) الزمر : ٦٧

اليمين دون الشمال وسائر البدن ، وأما قوله « قبضته » نحو قولك للرجل : هذا فى يدك وفى قبضتك .(١) .

وجاء « الزمخشرى » بعد ذلك ليلتفت إلى مدلول التعبير بجملته غير مهتم بما فى لفظتى : قبضة ويمين من حقيقة ومجاز ، فقط وضح مدلول التعبير بدون أن يذكر أن مافيه يسمى كناية فيقول فى تعليقه على الآية . « والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز »(٢) .

والذى أطلق على تفسير « الزمخشرى » السابق كناية هو السيوطى جاعلا ذلك نوعاً غريباً من الكناية فيقول : « واستنبط الزمخشرى نوعاً من الكناية غريباً ، وهو أن تعمد إلى جملة معناها على خلاف الظاهر ، فتأخذ الخلاصة ، من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة والمجاز ، فتعبر بها عن المقصود ، كما تقول فى نحو : « الرحمن على العرش استوى »(٣) إنه كناية عن الملك ، فإن الاستواء على السرير لا يحصل إلا مع الملك ، فجعل كناية عنه ، وكذا قوله : « والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه » الزمر : ٦٧ كناية عن عظمته وجلالته ، من غير ذهاب بالقبض واليمين إلى جهتين : حقيقة ومجاز (٤) .

ومع أن ما ذكره « الزمخشرى » من الصواب بمكان فإنى لا أدرى وجها لما وصفه « السيوطى » بالغرابة .

---

(١) د / فائز فارس — معانى القرآن ٢ / ٤٥٧

(٢) الكشاف ٣/ ٤٠٨ (٣) سورة طه : ٥

(٤) السيوطى : الإتقان ٣/١٤٥ ط أولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

ومن إشارات «الأخفش» للآيات التي تشتمل على الكناية بما يفهم أنها من المجاز المرسل تفسيره اليد بالعطية والنعمة في قوله تعالى: «وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم بقوله: «ذكروا أنها العطية والنعمة، وكذلك: «بل يداه مبسوطتان» المائدة: ٦٤، كما تقول: إن لفلان عندي يداً، أي: نعمة، وقال: «أولي الأيدي والأبصار»، أي: أولي النعم(١)

وتفسيره لها بما يفيد أنها استعارة بقوله: «وقد تكون اليد في وجوه تقول: بين يدي الدار، يعني: قدامها، وليست للدار يدان(٢).

وقد جعل «الشريف الرضي» غل اليد وبسطها من قبيل الاستعارة أو الكناية لعدم تفرقته بينهما وذلك في قوله: «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط(٣) فيقول: «وهذه استعارة وليس المراد بها اليد التي هي الجارحة على الحقيقة، وإنما الكلام الأول كناية عن التقتير، والكلام الآخر كناية عن التبذير وكلاهما مذموم حتى يقف كل منهما على حده، ولا يجري إلى أمده(٤).

أما الزمخشري فتفسيره يفيد أنها من الكناية بوضوح وإن كان لم يذكر لفظ «الكناية» وذكر لفظ «المجاز» ويمكن ذلك لعده الكناية من المجاز وذلك في قوله، «غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود، ومنه

---

(١) د/ فائز فارس ٢٦١/١

(٢) السابق: قيل: نزلت في إعطائه ﷺ قيصه ولم يكن له غيره وبقي عريانا، وقيل: أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وعيينة مثل ذلك والعباس بن مرداس خمسين ثم كملها مائة فنزلت. البحر ٣١/٦

(٣) سورة الإسراء: ٢٩

(٤) الشريف الرضي: ١١٥

قوله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط .. » ولا يقصد من يتكلم به إثبات يد ولا غل ولا بسط (١).

وقد أوضح السيد الشريف الجرجاني السر البلاغي لهذا التعبير بقوله : « والنكتة فى استعمال هذا المجاز : تصوير الحقيقة المعنوية بصورة حسية تلزمها غالباً ، ولاشيء أثبت من الصور الحسية فى الذهن ، فلما كان الجود والبخل معنويين لا يدركان بالحس ويلازمهما صورتان تدركان بالحس وهو : بسط اليد للجود وقبضها للبخل عبر عنهما بلازمهما لفائدة الإيضاح والانتقال من المعنويات إلى المحسوسات (٢) .

---

(١) الكشاف : ١ / ٦٢٧
(٢) السابق

التعريض

لم يستخدم « الأخفش » مصطلح التعريض(١) ، فقد عرف بعد ذلك وإنما أشار إليه بما استشهد به من كلام العرب على توضيح بعض العبارات القرآنية ، وقد ذكر البلاغيون بعد ذلك تلك الآية شاهداً على التعريض .

والآية التى استشهد عليها الأخفش بكلام العرب وما عرف بعد ذلك بالتعريض هى قوله تعالى : « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين »(٢) .

وقد علق « الأخفش » عليها بقوله : « فليس هذا لأنه شك ، ولكن هذا فى كلام العرب على أنه هو المهتدى ، وقد يقول الرجل لعبده : أحدنا ضارب صاحبته ، فلا يكون فيه إشكال على السامع أن المولى هو الضارب »(٣) .

وقد وضح الفراء المعاصر له ما فى الآية على نحو ما فعل « الأخفش » من الإستشهاد بكلام العرب مع زيادة فى التوضيح ومبيناً أن سلوك هذا الطريق من الكلام وفى مقارعة الخصوم أكثر إقناعاً من التصريح وذلك

---

(١) وهو : إمالة الكلام إلى عرض يدل على الغرض المقصود ، أى : توجيه الكلام إلى جانب يفهم منه المراد إشارة وتلويحاً .

د/ أحمد موسى — البلاغة التطبيقية ٢٥٤ ط أولى ١٩٦٣ — مطبعة المعرفة .

(٢) سورة سبأ : ٢٤

(٣) فائز فارس — معانى القرآن ٢/٤٤٥

بقوله : « والمعنى فى قوله : « وإنا أو إياكم ... » إنا لضالون أو مهتدون ، وإنكم أيضاً لضالون أو مهتدون ، وهو يعلم أن رسوله المهتدى وأن غيره الضال فأنت تقول فى الكلام للرجل: إن أحدنا لكاذب فكذبته تكذيباً غير مكشوف ، وهو فى القرآن وفى كلام العرب كثير : أن يوجه الكلام إلى أحسن مذاهبه إذا عرف كقول القائل: والله لقد قدم فلان وهو كاذب، فيقول العالم : قل إن شاء الله ، أوقل فيما أظن فيكذبه بأحسن من تصريح التكذيب »(١) .

وبذلك نرى «الفراء» قد ذكر فى تفسيره للآية ما عرف به التعريض عند البلاغيين وهو إمالة الكلام إلى عرض يدل على المقصود ، وإن كان لم يستعمل لفظ « التعريض » .

وقد عرف مصطلح « التعريض » بعد ذلك ، واستخدمه الزمخشرى فى تفسيره للآية وإبراز سر البلاغة فيها والذى كان نتيجة عن التعريض وترك التصريح فيقول « الزمخشرى » « وإنا أو إياكم ....» .

ومعناه : وإن أحد الفريقين من الذين يوحدون الرازق من السموات والأرض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذى لا يوصف بالقدرة لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال ، وهذا من الكلام المنصف الذى كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به: قد أنصفك صاحبك، وفى درجة بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو فى الضلال المبين ، ولكن التعريض والتورية أفضل بالمجادل إلى الغرض وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب

---

(١) الفراء : معانى القرآن ت : محمد على النجار ٣٦٢/٢

هذا ونجد الزمخشري بعد ذلك يقف لتوضيح السر البلاغي في التعبير « بسكت » عما يجعله أنسب من التعبير « بسكن » الخالي من المجاز المركب أو التمثيل الذي يشتمل عليه لفظ «سكت»(١) .

---

(١) نص تعليق « الزمخشري » : « هذا مثل كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له : قل لقومك كذا ، وألق الألواح ، وجر برأس اخيك إليك ، فترك النطق بذلك وقطع الإغراء ، ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح إلا لذلك، ولأنه من قبيل شعب البلاغة وإلا فما لقراءة معاوية بن قرة : ولما سكن عن موسى الغضب لاتجد النفس عندها شيئاً من تلك الهزة ، وطرفاً من تلك الروعة » الكشاف ١٢٠/٢ .

وقد أشار «الشريف الرضي» من قبل إلى أن ما في الآية من قبيل المجاز العقلي وقد أطلق عليه الإستعارة «فلما كان الغضب سبب كلام موسى لهارون عليهما السلام وعتابه له ومراجعة القول بينه وبينه وبان له من عذر أخيه ما سكن به غضبه وانقطع منه عتبه جاز أن يوصف الغضب بالسكوت عنه» وإن كان هو الساكت لا الغضب على الحقيقة .

تلخيص البيان ص : ٥٠

ويفهم من تعليقات البلاغيين حول « ولما سكت عن موسى الغضب » أن فيها عدة وجوه : أن تكون من المجاز المركب — أو المجاز العقلي ، أو الإستعارة التصريحية التبعية في لفظ « سكت » أو المكنية في لفظ « الغضب » ، ولما كان التأثير في المعنى يتعلق بلفظ «سكت» أرى أن يكون هو محل التجوز أي يكون فيه استعارة تبعية ، ويرجح ذلك موازنة الزمخشري بينه وبين قراءة «سكن» الخالية من البلاغة .

الخصم وفل شوكته بالهوينا ، ونحوه قول الرجل لصاحبه : علم الله الصادق منى ومنك وإن أحدنا لكاذب ، ومنه بيت حسان :

أتهجوه ولست له بكفء   فشر كما لخير كما الفداء(١)

وقد نقل « أبو حيان » فى البحر المحيط كلام الزمخشرى السابق وأن الرد بالتورية والتعريض أبلغ من التصريح غير أنه عقب على ذلك بأنه يسمى فى البيان « استدراج » وعرفه بأن يستدرج المتكلم المخاطب - أى يذكر له أمرا يسلمه وإن كان بخلاف ما ذكر حتى يصغى إلى ما يلقيه إليه ، إذ لو بدأ بما يكره لم يصغ ولا يزال ينقله من حال إلى حال حتى يتبين له الحق ويقبله(٢) .

أما الخطيب « القزوينى » فقد جعل الآية السابقة من شواهد تجاهل العارف الذى سماه السكاكى تأدبا لوروده فى كلام الله : « سوق المعلوم مساق غيره ، وتجاهل العارف أو سوق المعلوم مساق غيره الذى جعله الخطيب أحد فنون المحسنات البديعية المعنوية لابد أن يكون لنكتة ، وقد ذكر الخطيب أن النكتة فى الآية تتمثل فى التعريض . وقد ذكر الخطيب فائدة أخرى غير التعريض لما اشتمل عليه التعبير القرآنى من إبهام بقوله : « وفى مجىء هذا اللفظ على الإبهام فائدة أخرى ، وهى أنه يبعث المشركين على الفكر فى حال أنفسهم وحال النبى والمؤمنين صلى الله عليه

---

(١) الكشاف ٣/٢٨٨، ٢٨٩ - ووضح الزمخشرى فى تفسيره للآية السر فى استعمال الحرف « على » مع « هدى وحرف الجر « فى » مع « ضلال » فقال : فإن قلت : كيف خولف بين حرفى الجر الداخلين على الحق والضلال ؟ قلت : لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء ، والضال كأنه منغمس فى ظلام مرتبك فيه لا يدرى اين يتوجه

(٢) أبو حيان : ٧ / ٢٧٩

وسلم، وإذا فكروا فيما هم عليه من إغارات بعضهم على بعض وسبي ذراريهم واستباحة أموالهم وقطع الأرحام وإتيان الفروج الحرام وقتل النفوس التى حرم الله قتلها وشرب الخمر التى تذهب العقول وتحسن ارتكاب الفواحش، وفكروا فيما النبى عليه السلام والمؤمنون عليه من صلة الأرحام واجتناب الآثام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإطعام المساكين وبر الوالدين والمواظبة على عبادة الله تعالى — علموا أن النبى عليه السلام والمسلمين على هدى وأنهم على الضلالة، فبعثهم ذلك على الإسلام، وهذه فائدة عظيمة »[1].

وندرك من التصرف السابق وهو جعل الآية الكريمة شاهداً على التعريض الذى يجعله الخطيب نكتة من نكات تجاهل العارف أحد فنون المحسنات المعنوية أن فنون البديع كـكل فنون البلاغة لا يستغنى عنها إذا اقتضاها الحال واستلزمها المقام ولا يمكن الإستغناء عنها كما قيل فى تعريف البديع :

البديع

لم تقع « الأخفش » فى كتابه « معانى القرآن » على إشارات لأى مما عرف بعد ذلك بالبديع :

(١) بغية الإيضاح ٤/٦٦ وما بعدها .

خاتمة

لقد جاء البحث فى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة فأظهرت المقدمة قيمته التى تتمثل فى تجلية بذور البلاغة وما آلت إليه تلك البذور بعد ذلك من ثمار كان بعضها غضا طريا تقبل عليه النفس برغبة واشتياق وبعضها يلقى من النفس صدوفاً لجفافه ومرارته ، وبذلك كان البحث فى المسائل التى ناقشها همزة وصل بين حاضر البلاغه وماضيها .

أما التمهيد فقد عرض لمراحل البلاغة مبينا أن مرحلة النضج والازدهار التى تناول البلاغة فيها أدباء ونقاد كانت أكثر المراحل تحقيقا لأهدافها ، وأن مرحلة النشء والتكوين من أهم المراحل لما تشتمل عليه مؤلفاتها من إفادة بالغة لدارسى البلاغة ، وفى مقدمة تلك الفوائد : عدم تقيد كتب تلك المرحلة بفن معين من فنون اللغة مما يتيح لدارسيها الإحاطة بمعظم علوم اللغة ، وأيضا لما تتسم به مؤلفات هذه المرحلة من وضوح وإيجاز فى عباراتها حيث يستعان بها على فهم واستيضاح ما ورد مبهما بعد ذلك فى تعليقات البلاغيين المتأخرين .

وتحدث الفصل الأول عن تسمية الأخفش ومن يشاركونه فى اسمه ، ومن شيوخه وتلامذته ، ومصنفاته ، ووفاته وأنها على الأرجح كانت فى سنة ٢١٥ هـ ، كما ناقش هذا الفصل الكتب التى سميت «بمعانى القرآن» من حيث نسبتها لأصحابها وما بينها من تشابه وما يتميز به كل منها وختم هذا الفصل بتحديد الخطوات التى سلكها الباحث فى دراسة مسائل البلاغة فى كتاب «معانى القرآن» للأخفش الأوسط .

وتحدث الفصل الثانى عما ورد فى «معانى القرآن للأخفش الأوسط»

من إشارات درسها المتأخرون ضمن موضوعات علم المعانى مثل : التقديم والتأخير الذى ساوى بينه وبين ما عرف بالاعتراض وأشار فى بعض الأحيان إلى التخصيص كسر من أسرار التقديم ومثل : الالتفات الذى حدد موقعه من الأسلوب مع الاستشهاد عليه بما ورد فى أشعار العرب ومثل : وضع الظاهر موضع المضمر حيث حدد مكانه من التركيب وأسراره البلاغية مع الاستشهاد عليه بما أثر من كلام العرب، ومثل : القلب الذى لم يصرح بلفظه ولكن ذكر من العبارات، والشواهد ما ساقها المتأخرون بعد ذلك أمثلة له، وكخروج الاستفهام عن معناه الحقيقى إلى التسوية والإقرار، والأمر إلى التعجيز، وكتعليقه على فصل بعض العبارات بما عرف بعد ذلك بالاستئناف البيانى أو شبه كمال الاتصال وهو أحد وجوه الفصل، وإشاراته إلى تحديد المحذوف فى كثير من الآيات، وأسرار الإطناب بالتوكيد أو الإجمال بعد التفصيل فى عدد من الآيات والتى اتفق معه عدد من المعاصرين واللاحقين له فيها ولم يزد عليه المتأخرون زيادة ذات بال .

واستقصى الفصل الثالث ما جاء فى معانى القرآن للأخفش من إشارات تتعلق بموضوعات علم البيان فى اصطلاح المتأخرين حيث لم يكن تقسيم البلاغة إلى علومها الثلاثة المعانى والبيان والبديع قد عرف فى هذا الطور المبكر لذلك لم يرد فى تعليقاته مصطلح المعانى ولا البيان ولا البديع والذى ورد إنما هو تعليقات وأمثلة لفنون درست بعد ذلك ضمن علم المعانى وعلم البيان، ولم ترد له تعليقات أو إشارات لما درس بعد ذلك ضمن علم البديع فمن إشاراته لموضوعات عرفت بعد ضمن علم البيان إشاراته لما عرف بالمجاز العقلى أو الإسنادى لعلاقات : المفعولية والسببية والزمانية والمكانية والمصدرية وإشاراته كذلك لما عرف بالمجاز المرسل لعلاقات : الكلية والآلية والمحلية واعتبار ما كان واعتبار ما يكون وإشاراته لما عرف

بعد بالاستعارة التبعيه فى الحروف والاستعارة التهكمية ، وأشار كذلك من خلال تعليقاته وما استشهد به من كلام العرب إلى ماعرف بعد بالكناية والتعريض ، أما فنون البديع فلم يعثر له على تعليقات أو إشارات تتعلق بها .

وفى الخاتمة كان موجز البحث ؟

الفهارس والمراجع

فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة الحجر

٢ — فهرس الأبيات الشعرية

٣ـ فهرس الأعلام

٤ - المراجع

رقم	المؤلف	الكتاب	بيانات
١	أبو حيان	البحر المحيط	ط أولى ١٣٢٧ هـ مطبعة السعادة بمصر
٢	أحمد مصطفى المراغى	تاريخ علوم البلاغة	ط أولى ١٣٦٢هـ - ١٩٥٠م
٣	أحمد موسى (د)	البلاغة التطبيقية	ط أولى ١٩٦٣ م مطبعة المعرفة
٤	الزبيدى	طبقات النحويين واللغويين	تحقيق محمد أبو الفضل - دار المعارف ١٩٧٣ م
٥	الزمخشرى	الكشاف	ط أخيرة - الحلبى ١٣٩٢هـ ١٩٧٢ م
٦	السيوطى	المزهر	تحقيق / محمد أحمد المولى ورفيقاه - دار إحياء الكتب العربية
٧	السيوطى	الإتقان	ط أولى ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م تحقيق / محمد أبو الفضل
٨	الشريف الرضى	تلخيص البيان فى مجازات القرآن	
٩	الفراء	معانى القرآن	تحقيق: أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار - القاهرة ١٩٥٥ م
١٠	القفطى	إنباه الرواة على أنباه النحاة	تحقيق : محمد أبو الفضل - دار الكتب المصرية

رقم	المؤلف	الكتاب	بيانات
١١	بدوى طبانه (د)	البيان العربى	ط رابعة - مكتبة الأنجلو المصرية
١٢	شوقى ضيف (د)	البلاغة تطور وتاريخ	دار المعارف ط رابعة
١٣	عبد الفتاح الحلو (د)	تاريخ العلماء النحويين	جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م
١٤	عبد المتعال الصعيدى	بغية الإيضاح	ط سادسة
١٥	عبد القاهر الجرجانى	دلائل الإعجاز	تحقيق أحمد مصطفى المراغى ط ثانية التجارية
١٦	فائز فارس (د)	معانى القرآن للأخفش الأوسط	ط أولى الكويت ١٤٠٠ هـ
١٧	مازن المبارك (د)	الموجز فى تاريخ البلاغة	ط ثانية - دمشق ١٤٠٠ هـ - ١٩٧٩ م
١٨	محمد فؤاد سزكين	مجاز القرآن لأبى عبيدة	ط ثانية ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م الخانجى

٥ ـ فهرس الموضوعات

مسلسل	الموضوعات	الصفحة

تصويب : الصفحة التالية لصفحة : ٨٧ هي صفحة : ٩٤



رقم الإيداع بدار الكتب
٢٧٥٨ / ١٩٨٣ م
الترقيم الدولي ٦ - ٠٣٠ - ١٠٠ - ٩٧٧